

## المقدمة

الحمدُ لله الذي أودعَ كتابه الكريم أسرار البيان ، وجعله علماً على معالم الهدى ورسالةً خالدةً على مرّ الزمانِ ، وتحدى به الناس على اختلاف ملكاتهم وقدراتهم ، كتابٌ لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه لم يمنع منهم وأحداً وِرْده بل وجد فيه الكلُّ مبتغاه، احتجّ به النحوي ونهلَ منه البلاغي ، ونظرَ فيه المفسرُ ، وتأملَ فيه الفقيهُ ، وتوقفَ عنده المتكلمُ ، وأفادَ منه المناظرُ والأديبُ ، وقد حَبَبَ إليهم هذا الأمرُ مزيّتان ، أولاهما : ما امتاز به هذا الكتاب العظيم من طاقة بيانية مكنونة، يتبين مكنونها مع التفتيش والبحث ، والأخرى : ابتغاء الأجر العظيم من الله تعالى بالتدبر في القرآن ، فهو كتاب الله الذي كلما أنعم المتأملون النظر فيه والفكر ، وجدوا أنفسهم أمام بحر من المعاني لا ساحل له، فمعانيه متجددة حية، تتجدد بتجدد الزمان والمكان، ومع كونه معجزة بيانية خالدة فهو معجزة تشريعية ربانية، لذلك انصرف إليه جهودُ علماء اللغة والبيان لمعرفة أساليبه وبلاغة بيانه، فهو كتاب العربية الأول وبيانها الخالد وفي هذا البحث نسعى للكشف عن شيء من حدودِ عظمة القرآن من خلال إظهار ملاحم البيان القرآني كما عرضها أحد العلماء الأفاضل: (الإمام السهيلي ت ٥٨١هـ) في كتابه (نتائج الفكر): لكثرة ماوقف عليه من المسائل البيانية التي هي في جذورها نحوية ولاسيما في بيان المتشابه اللفظي ، والفروق النحوية فضلا عن أساليب أخرى تتعلق بالتركيب النحوية : كالتقديم والتأخير، والحذف ، والتعريف والتتكير ، وأبانَ ملاحمها البيانية مستلهماً من السياق والمقام أساسا للكشف عنها ، وهو ما يعرف اليوم بـ(نحو النص) وبذلك يمكن أن نقولَ إنّ جذور هذا العلم متأصلة في الدرس العربي القديم ومن أجلّ أن تكونَ الدراسة متكاملة فلقد قُسمَ البحث على ثلاثة مباحث الأول: التمهيد: المفاهيم :البيان القرآني، السهيلي، كتابه، وعرضَ بأسلوب موجز تجنباً عن الإطالة والتكرار ،وتناول المبحث الثاني: التركيب النحوية وشمّل: التقديم والتأخير، والتعريف والتتكير، والحذف والذكر والتوابع وبين كلَّ تركيب وماشمه من ملاحم بيانية ،أمّا المبحث الثالث فغني بالفروق النحوية، مستدلين بعدد

من الأمثلة محللين لها وكاشفين عن مكامن الحس البياني فيها ، ثم ختم البحث  
بسرٍ لأهم النتائج الواردة في البحث .

### Abstrct

Praise be to God, who deposited his book Secrets of the statement, and make note of the features of the guidance, and the eternal message over time , and challenged by people with different talents and abilities, protested by the grammar and the NHL than rhetorical , and considered the interpreter , and hopes the jurist , and stopped him speaker, and reported him to the corresponding and writer . Did not prevent them one and the response , but he found all his desire and intention is with this renewed meanings with renewed days, has led landmarks guidance and modalities of the statement in this great book to embark on the study of verses from the Sultans of scientists delivers them all the way to his successor Vinzaa sins and then deliver it to someone else the dear to them this two advantages , first : What RPR by this great book of energy graphic hidden , it turns out Mcnunha with inspection, search , and the second : in order to great reward from god meditating in the Quran , it is the book of Allah that whenever the softest Almtamlon consideration and thought, and found themselves in front of a sea of meanings not coast to him, Vmaanyh renewable beard, renewed renewed time and place , and with being a miracle

graphic Khaleda Vhomadzh legislative divine , so I went to the efforts of linguists and the statement to learn methods and eloquence of his statement , it is a book the first Arab and the statement immortal ) More : see: miracles rhetorical analytical study of the heritage of the scholars , d . Mohamed Mohamed Abu Musa, a library and prestige , Cairo, i 4, 2012 , p m and beyond ) in this research effort to detect anything from the borders of the greatness of the Qur'an through a statement of som which reveald one of the scientists Evacuation(Imam Suhaili T. 581 AH ) , who stood on the borders of the statement Quranic issues is at the root grammatical especially in a statement of Like verbal , and the differences grammatical as well as other methods : Kaltkadim delays, deletions, and the definition and the delay inspired by the context and place mainly disclosed , which is known today as (some text) so they can say that the roots of this science inherent in ancient Arabic lesson and study in order to be integrated has divided the research on the first two sections : Concepts ( Quranic statement , Suhayli , book ) and section : a study of the features of the Quranic statement at Suhayli .

**المبحث الأول: التمهيد: بيان المفاهيم (البيان القرآني، السهيلي، وكتابه)**

أولاً: مفهوم البيان القرآني .

**١-البيان لغة:**

الإيضاح والإفصاح ، تقول : ((فلان أبيض من فلان أي: أفصح منه وأوضح كلاماً وبيان الشيء بياناً : اتضح فهو بين))<sup>(١)</sup> قال الجوهري (ت ٣٩٨ هـ) : ((البيان الفصاحة واللسان وفي الحديث: ( إنَّ من البيانِ لسحراً ) و فلان أبيضُ من فلان ، أي أوضحُ منه وأوضحُ كلاماً ، والبين ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها ، و بيان الشيء بياناً اتضح فهو بينٌ والجمع : أنبياء ، وكذلك أبا ن الشيء فهو مُبينٌ ، وأبنته أنا أي : أوْضَحْتُهُ ، واستبان الشيءُ وضَحَ ))<sup>(٢)</sup> فالإفصاح ، والإيضاح أبرزُ ما يكشفُ من المعنى المعجمي لـ(بان).

**٢-البيان اصطلاحاً :**

عرّفه الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) بأنه: (( اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير ، حتى يُفْضِيَ السامعُ إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل ؛ لأنّ مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائلُ والسامعُ إنّما هو الفهمُ والإفهامُ، فبأيّ شيءٍ بلغتْ الإفهامَ وأوضحتْ عن المعنى ، فذاك هو البيان في ذلك الموضع ))<sup>(٣)</sup>، ومنه يكشف أنّ مدار البيان على المعنى، وأنّ ذلك المعنى ليس ما يجتلبه الذهن بظاهر العبارة، بل هو مقتنع بقناع قصد المتكلم، لذا وجب هتك الحجب للوصول إلى ضمير

(١) الصحاح ، الجوهري ٥ / ٣٠٨٢ ، وينظر لسان العرب ، ابن منظور ١٣ / ٦٢ .

(٢) الصحاح ، ٥ / ٣٠٨٢ .

(٣) البيان والتبيين ، ١ / ٧٦ .

المتكلم<sup>(١)</sup>، وعرفه ابن الناظم (ت ٦٨٦هـ) ، بأنه: (( معرفة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة ، وبالنقصان ليحترز بذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه ))<sup>(٢)</sup>، فالدلالات تتنوع تبعاً لتنوع الأساليب، وطرائق عرضه، بالزيادة أو النقصان، بالتقديم أو التأخير. وبه يتم الكشف عن أسرار التركيب في التعبير القرآني ، وهو جزء من التفسير العام ، تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية: كالتقديم والتأخير ، والذكر ، والحذف ، واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير<sup>(٣)</sup> : وبمعنى أدق هو: كشفُ ظلالِ التعبير ، وما تحمله الألفاظُ من دلالاتٍ هامشيةٍ تدلُّ على لطفِ العبارة ، وتكشفُ عن سمة القصد في ظروف السياق والمقام<sup>(٤)</sup>، وعلى ذلك فقد ماز الجرجاني بين مفهوم المعنى ، ومعنى المعنى بعد أن قيدَ الأول: بـ(الدلالة المركزية) والآخر حدده بـ:(الدلالة الهامشية)<sup>(٥)</sup>، مما جعل العلماء يفرقون بين البيان القرآني من جهة ، والبيان البلاغي من جهة أخرى ، إذ إنَّ الأول أوسع إذ يُظهر جوانب الإعجاز من خلال العلاقة بين علوم العربية المتنوعة، وأسلوب التعبير القرآني في بيان كشف الأسرار، وإبراز مواطن الجمال<sup>(٦)</sup> ، أمّا البيان البلاغي فهو متعلق بدراسة التشبيه ، والحقيقة والمجاز ، والاستعارة ، والكناية ، وقد جمع النص القرآني بينهما قال الباقلاني (ت ٤٠٣هـ): ((فالقرآن أعلى منازل البيان ، وأعلى مراتبه جمع وجوه الحسن وأسبابه ، وطرقه وأبوابه : من تعديل النظم ، وسلامته ، وحسنه ، وبهجته ، وحسن موقعه في السمع ، وسهولته على اللسان ، ووقوعه في النفس موقع القبول، وتصوره تصور المشاهد ،... وإذا علا الكلام في نفسه كان له من الوقع في القلوب

(١) بحث: البيان القرآني بين المقال والمقام، أ.م.د. محمد ياس الدوري، ٤.

(٢) المصباح في المعاني والبيان والبيدع، ١٠٣.

(٦) على طريق التفسير البياني، د. فاضل صالح السامرائي، ٧/١.

(٤) بحث: البيان القرآني بين المقام والمقال، ٤.

(٥) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٦) للمزيد: ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن، ١٤.

والتمكن في النفوس ، ما يذهل ويبهج ، ويقلق ويؤنس ، ويطمع ويؤيس ، ويضحك ويبيكي ، ويحزن ويفرح ، ويسكن ويزعج ، ويشجي ويطرب ، ويهز الأعطاف ويستميل نحوه الأسماع ، ويورث الأريحية والعزة ... ويرمي السامع من وراء رأيه مرمى بعيداً. وله مسالك في النفوس لطيفة ، ومداخل إلى القلوب دقيقة. وبحسب ما يترتب في نظمه ويتنزل في موقعه ، ويجرى على سمته مطلعته ومقطعه ، يكون عجباً تأثيراته وبديع مقتضياته. وكذلك على حسب مصادره يتصور وجوه موارده. وقد ينبئ الكلام عن محل صاحبه ، ويدل على مكان متكلمه وبنبه على عظيم شأن أهله وعلى علو محله<sup>(١)</sup>، والدراية بأسرار العربية ، هي السبيل والأداة إلى فهم إعجاز النظم القرآني وبيانه ، فغير متصور أن يكون لمن أعوزته الدراية بأسرار التعبير في لغة ما ، أن يفهم روائع نصوصها ، فضلاً عن التمييز بين الوجوه البلاغة فيها بيد أن من ملكها قدر على الكشف والتحليل ، والتمييز والسهيلي أحد هؤلاء العلماء إذ رصد الكثير من أسرار البيان القرآني في كتابه (نتائج الفكر) عندما ربط بين النحو والبلاغة، ووقف على لطائف دقيقة مما لمح من هذه الأسرار، وقد أخذت هذه المباحث التي بينها في كتابه النحوي مكانها في الدرس البلاغي من علم المعاني ، ولا يخفى ما بين النحو وعلم المعاني من وثنائج وثيقة ، وهي بلا أدنى شك تجلو براعة بلغاء العرب واقتدارهم على فن القول ، لكن من دون أن تتصل بإعجاز القرآن إلا على وجه التوطئة والوسيلة والتمهيد ، واستطاع أن يرسم معالم الطريق لمن جاءوا من بعده فهذا الكتاب يحيلك في قوانين البلاغة والنحو على وجدانك وما تجد من أثر الكلام في قلبك وجنانك ، فتعلم أن علم البيان القرآني إنما هو شعبة من شعب مشاعر النفس وأحاسيسها وقد نبه السهيلي في كتابه القيم على ضرورة الاتصال بروائع الفصحى لكسب ذوقها الذي به تُدرك بلاغة النظم المعجز. وهذا ما أبانه من خلال منهجه الذي اعتمده في كتابه عند مسرد روائع

(١) إعجاز القرآن الباقلائي: ٢٧٦ .

العرب واستشهد بأشعارهم لبيان المعنى وجزالة اللفظ ودقته ،وقد كشف حسه اللغوي عمق تفكيره الدلالي عندما حدد لكلّ فئة لغتها، ومفرداتها، ومقاماتها وهو ما يتفق مع رأي الباحثين المحدثين الذين يرون أن لكلّ طبقة من الناس ألفاظاً تديرها وأنّ يخاطب كلّ إنسانٍ على قدر استعداده في الفهم<sup>(١)</sup>

ثانياً:- التعريف بالسهيلي:

هو عبدالرحمن بن الخطيب بن أبي محمد عبدالله بن الخطيب أبو عمر أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخثعمي السهيلي (ت ٥٨١هـ). له مصنفات عديدة في شتى المجالات : في السيرة، والفقه، والحديث ،واللغة والنحو وكان بحراً لايجارى وحبوراً لايبارى ، ومن أهم مصنفاته:<sup>(٢)</sup>

- ١-الروض الأنف وهو كتاب قيم في السيرة النبوية.
  - ٢-نتائج الفكر وهو كتاب في النحو ،وهو موضوع دراستنا في بيان الملامح البيانية القرآنية للسهيلي في نتاجه الفكري .
  - ٣-كتاب الأعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام قصد فيه ذكر ما في القرآن ممن لم يسم لما له اسم علم قد عرف عند نقله الاخبار .
  - ٤-كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية
  - ٥-مسألة رؤية الله تعالى في المنام ورؤية النبي عليه الصلاة والسلام .
- ثالثاً: التعريف بكتاب (نتائج الفكر) ومنهج مؤلفه.
- ١-التعريف بالكتاب وأهميته.

هو كتاب نحوي بياني " :حققه الشيخ عادل أحمد عبدالموجود ،والشيخ علي محمد معوض سنة ١٩٩٢م ١٤١٢هـ ،وقد عُني في هذا الكتاب بجوانب خمسة: [الدلالة،

(١) نظرية الأصول عند ابن فارس، عبد العباس عبدالجاسم احمد ،٥٣.

(٢) المصدر نفسه ١١ / ٣١٩.

والعلة، والعامل، ونظم القرآن وبيانه وبلاغته ، ونقد المصطلحات والتعريفات] ، ويعد من الكتب المهمة لما ذكرناه فضلا عن أسباب أخرى :-

أولها: إنّ السهيلي من علماء الأندلس، والمغاربة عموما الذين لهم منهجهم، ومذاقهم الأدبي والبلاغي الذي يختلف عن المشاركة إلى حد ما. وهذا بأتى من تسميته لكتابه إذ أحسن الربط بين الفكر واللغة فكلاهما متمم للآخر.

وثانيها: إنّ في الكتاب مادة لغوية وأدبية وبلاغية لا يستهان بها، وهي متنوعة وتشمل: الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والشعر الجاهلي والإسلامي.

وثالثها: إنّ السهيلي صاحب ذائقة فنية رفيعة، وهو يميل إلى تذوق النصوص وتحليلها خلال شرحه، وهذا ما نحتاجه للتحليل الأسلوبى والفكر اللغوي. وهذا المنهج ذو الطبيعة التكاملية في العرض التحليلي يجعل العناصر البلاغية خادمة للمقاصد القرآنية، وذلك أنّ المواد اللغوية هي اللبئات الأولى التي تُشكل العمود الفقري للنظم القرآني، وإبراز مقاصد الألفاظ، وإظهار وظائفها، وتسجيل المعاني الناتجة عن العلاقات بين الكلم وفق قانون النحو وقواعده وهو عين النظم وجوهره، الذي نادى به عبد القاهر الجرجاني، وبذلك تكون أساليب البلاغة وأدواتها وسائل يُتوصل بها إلى الأغراض القرآنية من خلال النظم الكريم فتلك خدم لها، وليست الآيات خادمة لأساليب البلاغة وعناصر أبحاثها، وبهذا المنهج تسلم الآية الكريمة من التجزئة والنقطيع، ويُحفظ بهاؤها ورواؤها، وينكشف شيء من أسرار جمالها وبدائع نظمها .

٢- منهج المؤلف وشخصيته العلمية.

اعتمد السهيلي المنهج التكاملي فبعد أن يعرض للمادة النحوية في موضعها يكشف حدودها البلاغية -وهو المنهج الأقوم والأليق بكلام الله - عز وجل - فبه يكشف عن دقائق نظم الآيات، ولطائف بيانها مع التركيز في الجانب النحوي وإظهار بعض الأسرار البلاغية الأخرى، وإن لم تكن منطوية تحت المبحث البلاغي

نفسه، وبفضل ذلك فقد تمتع السهيلي بشخصية علمية من خلال عنايته بالنصوص الشرعية التي يوردها من قرآن وحديث شريف غاية العناية، فهو يعتمد على النصوص فضلاً عن استقصائها وتتبعها ثم يجعل الحكم المستنبط خاضعاً لهذه النصوص بقوة الدليل النقلى، وربطه بسببه ثم يورد بحكمته اللغوية المسائل العقلية التي يجعلها سنداً لدليله النقلى ومعضداً له، وتوضيح ما يفيد الدليل النقلى الشرعى ولقد امتاز السهيلي بوضوح العبارة وتأكيدها وهذا أهم ما يميز أسلوبه إذ تجده من شدة عنايته بالوضوح يميل للإسهاب والإطناب، والعزوف غالباً عن الإيجاز وعن الموهوم والمبهم من العبارات فهو طويل النفس في العبارة يحاورها ويحاكيها، ويبين دقة استعمالها وسببه في البيان القرآني، وقد ساعده في ذلك ملكة اللغوية القوية في بيان القرآن من خلال اللغة ولاسيما في كتابه موضوع الدراسة إذ عني ببعض أبواب النحو التي تدرس الجملة وتركيبها، واتجهت عنايته في ذلك إلى ما يخدم المعنى، ويعين على تحديده وبيانه في الغالب، ولذلك لم يتناول جميع الأبواب التي درج النحاة على دراستها، إنما تناول منها ما جاء موافقاً لمنهجه الخاص الذي يتميز بتناول جوانب أهمها النحاة الذين سبقوه أو لم يعطوها حقها في الدراسة والبيان، كما أنه يصل النحو بالبيان وصلاً مفيداً، ويعنى بما يتصل بالبيان القرآني عناية فائقة.

## المبحث الثاني: التراكيب النحوية :

تقوم فكرة البحث على بيان منزلة علم البيان من علم النحو والعلاقة بينهما، وهو ما دفعنا إلى تلمسها في كتاب (نتائج الفكر)، وعند علم من أعلام الفكر النحوي ألا وهو (السهيلي) والكشف عن حدودها. قال ابن الأثير: ((موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية وهو والنحوي يشتركان في أنّ النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي- وتلك دلالة عامة - وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة - وهي دلالة خاصة- والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن وذلك أمر وراء النحو والإعراب ألا ترى أنّ النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ويعلم مواقع إعرابه ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة ومن ههنا غلط مفسرو الأشعار في اقتصارهم على شرح المعنى وما فيها من الكلمات اللغوية، وتبيين مواضع الإعراب منها دون شرح ما تضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة))<sup>(١)</sup> فالنحو وعلم البيان متداخلان أمّا علم النحو فإنه في علم البيان من المنظوم والمنثور بمنزلة أبجد في تعليم الخط وهو أول ما ينبغي إتقان معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي ليأمن معرة اللحن ومع هذا فإنه وإن احتيج إليه في بعض الكلام دون بعض لضرورة الإفهام فإنّ الواضع لم يخص منه شيئاً بالوضع بل جعل الوضع عاماً وإلاّ فإذا نظرنا إلى ضرورته وأقسامه المدونة وجدنا أكثرها غير محتاج إليه في إفهام المعاني وهو ما بينه الجرجاني عندما بين الأساس المعتمد في نظم الكلام بتوخي معاني النحو التي تمثل سرا من أسرار البيان القرآني بقوله: ((ليس النظم شيئاً إلاّ توخّي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم))<sup>(٢)</sup> وعليه فموضوع فنّ البيان هو تلك الدلالات الخاصّة التي تنتظم أسرار الصياغة في جوّ الأساليب التي ينشئها الأدباء تعبيراً عن أفكارهم، وتصويراً لعواطفهم، وهذه الأساليب

(١) المثل السائر لابن الأثير: ٣/١

(٢) دلائل الإعجاز، ٣٨٢.

تتفاوت وضوحا وخفاء، قوة وضعفا. ومن كلام العرب ماخفي المقصد فيها عن كثير من أهل البصر، فالبياني همه الكشف عن سمة القصد وهذا هو غاية البيان قال ابن الأثير: ((واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أنّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارهما وفتش عن دفاثهما ولا تجد ذلك في كل كلام فإنه من أشكال ضروب علم البيان وأدقها فهماً وأغمضها طريقاً))<sup>(١)</sup>، وقد حوى كتاب (نتائج الفكر) الكثير من النصوص التي جهد مؤلفه في بيانها من خلال الربط بين النحو والبلاغة على وجه الخصوص ليكشف عن أسرار التعبير فيه ويبين أحكامه وبلاغته العالية، وأبرزها:

#### ١- التقديم والتأخير :

يعد فن التقديم و التأخير من فنون العرب المهمة في كلامهم ، فهم يقدمون الأهم على المهم ، وإن كان كلاهما يهمانه لإظهار مزية المتقدم ، قال سيبويه : (( كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم))<sup>(٢)</sup> فتقديم المفعول به على الفعل وكذا تقديم الخبر على المبتدأ، الغرض منه فضلا عن الاهتمام والعناية التنبيه أي: تنبيه المخاطب<sup>(٣)</sup>، ووصفه عبد القاهر الجرجاني وصفاً دقيقاً ورائعاً قائلاً : (( هو بابٌ كثير الفوائد جمُّ المحاسن ، واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتّر لك عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفه ولا تزال ترى شعراً يروك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنتظر فتجد سبب أنّ راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان))<sup>(٤)</sup>، وحصر ابن الأثير فائدته باستعمالين : (( والذي عندي فيه أنه يستعمل على وجهين : أحدهما الاختصاص

(١) المثل السائر ، ١٣/١.

(٢) الكتاب ، ١ / ٣٥ ، وينظر: التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حبيب أحمد عيسى العامري، ١٢-١٥.

(٣) الكتاب، ١٤٣/٢.

(٤) دلائل الإعجاز، ٨٣.

والآخر مراعاة نظم الكلام ، وذلك أن يكون نظمه لا يحسن إلا بالتقديم وإذا أخر المقدم ذهب ذلك الحسن وهذا الوجه أبلغ وأؤكد في الاختصاص<sup>(١)</sup>، وهو واقع في: ((كل ما عمل فيه فعل متصرف أو كان خبر المبتدأ))<sup>(٢)</sup> لفائدة حددت في أربعة أحوال : أولها: ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ ، وذلك هو الغاية القصوى وإليه المرجع في فنون البلاغة والقرآن الكريم في هذا نحو قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة/ ٢٢ - ٢٣] إذ قدم الجار والمجرور على سبيل إفادة التخصيص، والثاني: ما يفيد زيادة المعنى فقط نحو قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر/ ٦٦] فقدم المفعول في هذا لتخصسه بالعبادة ، والثالث : ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير وليس في هذا الضرب شيء من الملاحظة ، والرابع : ما يخيل به المعنى ويضطرب وذلك هو التعقيد المعنوي ، أو المعاطلة كتقديم الصفة على الموصوف والصلة على الموصول أو نحو ذلك<sup>(٣)</sup> ، ولدواعف أهمها تعجيل المسرة ، وتعجيل المساءة والتشاؤم والتشويق للمتأخر والتلذذ ، والتبرك ، والنص على عموم السلب أو سلب العموم ، وإفادة التخصيص والانكار والعزلة ، والترقي ، ومراعاة الترتيب وغيرها من الأغراض الأخرى<sup>(٤)</sup>.

وظاهرة التقديم والتأخير في العربية من لطائف التعبير التي نسعى في بيان أسرارها ؛ لأنها ميزة تعبيرية في إظهار الإعجاز البياني فضلا عن كونها من المباحث المهمة في علم المعاني والنحو ، إذ يبحث في هذا الموضوع بناء الجمل ، وصياغة العبارات ، كي يبرز أسرارها ومزاياها البلاغية ؛ والبيان القرآني يدفعنا في أن نتعرف على سبب العناية ، وأن نقف على دواعي الأهمية ، فقد حذر عبد القاهر الجرجاني البلاغي من الوقوف عند العناية والاهتمام فقط، وعدهما سبباً للتقديم فقط،

(١) المثل السائر، ٢ / ٣٦.

(٢) الأصول في النحو، ابن السراج، ٢ / ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٣) دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، د. منير محمود المسيري ، ٤٣ - ٤٤.

(٤) المصدر نفسه ٥٠ - ٦٦.

من دون التنقيب عن دواعي الاهتمام ، والتفتيش عن أسباب العناية ولعل هذه الميزة المهمة في الكشف عن المعاني والبيان هي ما أشار إليها السهيلي والتي نحن بصدد تلمسها في هذا المبحث والكشف عنها فضلا عن مقامات الكلام ومقاصده البيانية :-

أ-تقديم الخبر على المبتدأ.

الأصلُ في الكلام العربي أن يتقدم المبتدأ على الخبر وقد يتقدم \_الخبر على المبتدأ\_ وهذا التقديم إنما يكون لغرض من أغراض التقديم يرمي إليها المتكلم ومن هذه الأغراض التخصيص، والافتخار ، والتفاؤل، والتشاؤم ، والتبرك وغيرها من الأغراض التي يقدم فيها الخبر على المبتدأ وبعد التخصيص والحصر من أهم أغراض تقديم الظرف والجار والمجرور وهذا ما نتلمسه عند الوقفات البيانية للسهيلي عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] قال: ((فإن قيل: إذا كان موضع الخبر ومقر الفائدة فيه ، فلمَ أخرج سيوييه : ( ومتى وجدته مستقراً قدمته )<sup>(١)</sup> فالجواب : أن تقديم المجرور الأول لفائدتين أو لغرضين: إحداهما أنه اسم للموجب لهذا الغرض ، فيقدم تقدم السبب على المسبب.والفائدة الأخرى : أن الاسم المجرور من حيث كان اسماً لله - سبحانه - وجب الاهتمام بتقديمه ، تعظيماً لحرمة هذا الواجب الذي أوجبه ، وتخويفاً من تضييعه ، إذ ليس ما أوجبه الله سبحانه بمثابة ما يوجبه غيره ))<sup>(٢)</sup> ، فللتعظيم فضلاً عن علة السببية جاء تقديم المتأخر في الرتبة وهذا التعبير البياني من رائق قوله، وبديع بيانه ونظرته النحوية الماتعة في أن الاسم المجرور يقدم لهاتين الفائدتين.

ب-التقديم والتأخير في الصفات.

(١) كتاب سيوييه، ٥٦.

(٢) نتائج الفكر، ٢٤٠.

تنبه السهيلي إلى التقديم في الصفات العلى لله سبحانه وتعالى واسمائه ولحظ أهمية المقام وجعله الركن المهم في معرفة التقديم فضلا عن أسباب أخرى كشفها من خلال حسه البياني، إذ قال: ((متى يكون أحد الشئيين أحق بالتقديم، ويكون المتكلم ببيانه أعنى؟ والجواب: أن هذا أصل يجب الاعتناء به، لعظم منفعته في كتاب الله تعالى. وحديث رسوله - صلى الله عليه وسلم - إذ لا بد من الوقوف على الحكمة في تقديم ما قدم في القرآن وتأخير... نحو قوله تعالى: (سميعٌ عليمٌ)، ولم يجئ: (عليم سميع)، وكذلك: (عزيز حكيم)، و(غفور رحيم)، وفي آية أخرى: (الرحيمُ الغفورُ) إلى غير ذلك مما لا يكاد ينحصر، وليس شيء من ذلك يخلو عن فائدة وحكمة))<sup>(١)</sup> وقد حددها بما يلي: (٢) -

١- على حسب المعاني:- فنقول: ما تقدم من الكلام فنقدمه في اللسان على حسب تقدم المعاني في الجنان. والمعاني تتقدم بأحد خمسة أشياء: [إمّا بالزمان، وإمّا بالطبع، وإمّا بالرتبة، وإمّا بالسبب وإمّا بالفضل والكمال] فإذا سبق معنى من المعاني إلى الخلد والفكر بأحد هذه الأسباب الخمسة، وأبداً سبقت اللفظ الدال على ذلك المعنى السابق، وكان ترتيب الألفاظ بحسب ذلك.

٢- بحسب الخفة والثقل لا بحسب المعنى. كقولهم: (ربيعة ومضر)<sup>(٣)</sup>، وكان تقديم مضر أولى من جهة الفضل، ولكنهم آثروا الخفة؛ لأنك لو قدمت (مضر) في اللفظ كثرت الحركات وتوالت، فلما أخرت وقف عليها بالسكون وقد يكون العكس لحكمة أخرى: ومن هذا "الجن والإنس"، فإنّ الإنس أخف لفظاً لمكان النون، الخفيفة والسين المهموسة، فكان (تقديم) الأثقل أولى بأول الكلام من الأخف لنشاط المتكلم وجماعه. وأمّا في القرآن فلحكمة أخرى سوى هذه إذ قدم الجن على الإنس في الأكثر

(١) المصدر نفسه، ٢١٠.

(٢) المصدر نفسه، ٢١٠.

(٣) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري، ٨٣/١، والقول لجبلية بن الإيهم وهو ملك

من ملوك العرب اسلم ثم عاد وتتنصر (الكلام في المصدر نفسه)

والأغلب...وربما كان هذا من تقدم السبب على المسبب ، ومثله كثير في القرآن وكلام العرب.

٣- تقديم السبب على المسبب، نحو قوله : (يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة / ٢٢٢]؛ لأنَّ التوبة سبب الطهارة ، وكذلك : (كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٌ) [الشعراء / ٢٢٢]؛ لأنَّ الإفَّاك سبب الإثم. وكذلك: (كُلُّ مَعْتَدٍ أَثِيمٌ). [المطففين / ١٢] ومنه تقديم " السمع " على " البصر " ، (وتقديم (سميع) على (عليم) و نحو قوله تعالى : (سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [البقرة / ١٨١]، ولم يجيء (عليم سميع) ، وكذلك (عزيز حكيم) و (غفور رحيم) ، وفي آية أخرى (رحيم غفور) إلى غير ذلك مما لا يكاد ينحصر ، وليس شيء من ذلك يخلو عن فائدة وحكمة ؛ لأنَّه كلام الحكيم الخبير<sup>(١)</sup>.

فالتقديم الذي يؤكد عليه السهيلي هو تبادل المواقع ، تترك الكلمة مكانها لتحل محلها كلمة أخرى ، لتؤدي غرضاً بلاغياً ما كانت لتؤدي لو أُنْهت بقيت في مكانها الذي حكمت به قاعدة الإنضباط اللغوي<sup>(٢)</sup> فهذا التحليل والتعبير البياني من أبداع ما يبين به من بيان قرآني نابع من حس لغوي ، فتقديم صفة على أخرى مبني على طبيعة المقام فضلا عن القرائن الموجهة له فكل من هذه الصفات لها دلالتها واشتراكهما معا يعطي دلالة أخرى وتقدم أحدهما على الأخرى له دلالة ، والتباين يعتمد على طبيعة الصفتين وعلى أيَّهما المتقدم وعلى سياق الكلام الوارد ، والعرب أدركت ذلك، إذ ((حكي أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ (( فإن زلتم من بعد ما جاءكم البيئات فاعلموا أن الله غفور رحيم )) ولم يكن يقرأ القرآن ، فقال : إنَّ هذا كلام فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل ؛ لأنَّه إغراء عليه ))<sup>(٣)</sup>. والمحكم لهذا التقديم أي: في صفات الله وأسمائه في القرآن هو المقام وما يرافقه من قرآن إذ إنَّ

(١) نتائج الفكر، ٢٠٩. وينظر للمزيد من اسرار البيان القرآني ، د. فاضل السامرائي ، ٢٤ ،

(٢) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منير سلطان، ١٣٨.

(٣) جلاء الإفهام ابن قيم الجوزية، ١ / ١٧٢. الآية تختم في كتاب الله ( والله عزيز حكيم ) [المائدة ٣٨ ]

المقام من أهم ما يوجه هذه الصفات فإن كان مقام رحمة قدم رحيم على غيره وإن كان مقام غفران قدم غفور وعلى ذلك تتجه بقية الصفات والأسماء الحسنى، ولم يقف عند حدود المقام بل وجد أن المتكلم يراعي المعنى الذي لا يخلو من:

١- الرتبة في قوله تعالى: (سميع عليم)، فإنه خبر يتضمن التخويف والتهديد، فبدأ بالسمع لتعلقه بما قرب كالأصوات وهمس الحركات، فإن من يسمع حسك وخفي صوتك أقرب إليك - في العادة - ممن يقال لك: إنه يعلم، وإن كان علم الباري - سبحانه - متعلقاً بما ظهر وبطن، وواقعاً على ما قرب وشطن، ولكن ذى السميع أوقع في باب التخويف. فهو أولى بالتقديم<sup>(١)</sup>

٢- الطبع والسبب إذ إن تقديم (الغفور) على (الرحيم) في قوله تعالى: ((عَفُورٌ رَحِيمٌ)) [البقرة/١٧٣] أولى بالطبع؛ لأن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة، ألا ترى لقوله عليه السلام لعمر بن العاص - رضي الله عنه - "أبعثك وجهاً يسلمك الله تعالى ويغنمك، وأرغب لك رغبة من المال". فهذا من الترتيب البديع، بدأ بالسلامة قبل الغنيمة، وبالغنيمة قبل الكسب، والعطية الأولى من التقدم بالطبع، والثانية من التقدم بالسبب<sup>(٢)</sup>.

٣- الفضل والكمال والطبع معا نحو قوله تعالى: (وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ) في [سبأ/٢]، فالرحمة هنا متقدمة على المغفرة، إمّا بالفضل والكمال، وإمّا بالطبع؛ لأنها منتظمة بذكر أوصاف الخلق من المكلفين وغيرهم من الحيوان، فالرحمة تشمهم والمغفرة تخصهم، والعموم بالطبع قبل الخصوص<sup>(٣)</sup>. فمع الفضل والكمال والطبع بين أثر الخصوص والعموم على النص.

ج-التقديم بين البديل والمبديل:

(١) نتائج الفكر ٢٠٩.  
(٢) المصدر نفسه، ٢١٠.  
(٣) المصدر نفسه ٢١٠.

واستشهد أيضا في هذا الباب في التقديم بين البديل والمبدل منه\_ وذلك للاهتمام به نحو تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ [البقرة/ ٢١٧]، قال السهيلي: (( ومن فوائد هذه الآية أن يسأل عن قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ ، لِمَ قدم الشهر الحرام؟ ولم يقل: يسألونك عن قتال الشهر الحرام؟ وهم لم يسألوا عن الشهر إلا من أجل القتال فيه ، فكان الاهتمام بالقتال والتقديم له أولى في الظاهر؟ . والجواب : أن يقال : هذا السؤال لم يقع إلا بعد وقوع القتال في الشهر ، وتشنيع الكفرة عليهم وانتهاك حرمة الشهر ، فاغتمامهم واهتمامهم بالسؤال إنما وقع من أجل حرمة الشهر، فلذلك قدم في الذكر))<sup>(١)</sup>. وإنما اختير طريق الإبدال هنا وكان مقتضى الظاهر أن يقال: يسألونك عن القتال في الشهر الحرام لأجل الاهتمام بالشهر الحرام تنبيها على أن السؤال لأجل الشهر أيقع فيه قتال؟ لا لأجل القتال هل يقع في الشهر وهما متآيلان؟، لكن التقديم لقضاء حق الاهتمام، وهذه نكتة لإبدال عطف البيان تتفع في مواقع كثيرة، على أن في طريق بدل الاشتمال تشويقا بارتكاب الإجمال ثم التفصيل، فأبان (رحمه الله) عن سر التقديم على ما اقتضاه علم العربية، وبيانها البليغ فأظهر اعتناؤه بعقل التعبير القرآني في سر التقديم بين البديل والمبدل منه من خلال هذه الآية الكريمة .

#### د- التقديم والتأخير في المعطوفات.

تلمس السهيلي دلالة العطف من خلال الوقوف على التباين في المستعمل اللغوي ولاسيما في القرآن ، ولم يقف على ما هو ظاهر في الاستعمال كمجيء حرف العطف (الفاء) في استعمال (ثم) في استعمال آخر و(الواو) مثلا لوضوح الدلالة بينهم وإنما وقف على استعمال أحدهم في صياغة لغوية محددة وسبب تقديم أحد المعطوفات على الآخر ولاسيما مع (الواو)؛ لأن دلالاته العامة الجمع ولكن قمة البيان تتجلى في التقديم نفسه ، وهذا ظاهر بكثرة في كتابه إذ قال: ((ومنها أن يقال

(١) نتائج الفكر ٢٤٣.

: لِمَ قُدِّمَ (المغضوب عليهم) على (الضالين) في اللفظ ؟ - في سورة الفاتحة - وأما تقديمهم على (الضالين) فقد تقدم من أصول التقديم في باب العطف ذكر التقديم بالزمان ، وذكر التقديم بالرتبة. واليهود متقدمون بالرتبة والزمان ؛ لأنهم كانوا مجاورين لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمخاطبون بالآية وأقرب إليهم (ذكراً) من (النصارى) <sup>(١)</sup>، ولا يكون التقديم لمجرد الترتيب والتعقيب بل العناية والاهتمام بحسب المقام قال السهيلي : ((مسألة في أنّ " الواو " لا تدل (على الترتيب ولا التعقيب) تقول : صمت رمضان وشعبان ، وإن شئت : شعبان ورمضان. بخلاف الفاء وثم إلا أنهم يقدمون في كلامهم ما هم به أهم ، وهو ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم. هذا لفظ سيبويه ، وهو كلام مجمل يحتاج إلى بسط وتبيين)) <sup>(٢)</sup> ، وقد سبق بيانه .

## ٢- التعريف والتذكير .

جرى التعبير القرآني في القرآن الكريم على تذكير بعض الألفاظ مرة، وتعريفها مرة أخرى لغرض بلاغي إذ ينهج القرآن الكريم منهجاً فريداً في انتقاء الكلمة القرآنية مراعيّاً أبعادها الصوتية والصرفية ، ثم في توظيفها بعد ذلك في السياق التركيبي، ولذا فالكلمة القرآنية في هذا الإطار تتمتع بالتمكن من النظم لا يساويها فيه مرادفاتها ومن ضمن أسس الانتقاء ؛ التوظيف السياقي للكلمة القرآنية في هيئات التذكير والتعريف ، وما ذاك إلا قصداً لدلالات بعينه ، وتوظيف الكلمة منكراً أو معرفة إنمّا يخضع في خصوصيته لمحددات السياق النصي ، وفنيات التوظيف الجمالي . يقول الزملاكاني : (( قد يظن ظان أن المعرفة أجلى ، فهي من النكرة أولى ، ويخفى عليه أن الإبهام في مواطن خليق ، وأن سلوك الإيضاح ليس بسلوك للطريق . وعلّة ذلك أنّ النكرة ليس لمفردها مقدار مخصوص ، بخلاف المعرفة ، فإنّها لو اُحد بعينه ،

(١) المصدر نفسه، ٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ٢٠٨ .

يثبت الذهن عنده ، ويسكن إليه ))<sup>(١)</sup> فالزملكاني يقرر هنا أنّ النكرة أصل والتعريف فرع عليه ، وهي حقيقة قد أقرها عامة النحاة، إذ قد يراد من وراء توظيف النكرة الدلالة على عموم وشمول لا تستطيع المعرفة أن تدل عليها . لكن ذلك لا يلغي أهمية التوظيف للمعرفة في سياقها النصي الخليق بها<sup>(٢)</sup>. وقد جاء في مواضع حددها السهيلي وهي :

أ- إبدال النكرة المنعوتة من المعرف بـ(أل).

واستشهد السهيلي في هذا الباب بقوله ﴿ لَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ [العلق/ ١٥ - ١٦] فإن قيل: ما فائدة البديل من المعرفة وتبينها بالنكرة ، فإن كانت الفائدة في النكرة المنعوتة فلم ذكرت المعرفة ؟ وإن كانت الفائدة في المعرفة فما بال ذكر النكرة والتبيين بها ؟ فالجواب ( أن تقول ) : الآية نزلت في رجل بعينه ، وهو أبو جهل<sup>(٣)</sup> ، ثم تعلق حكمها بكل من اتصف بصفته ، فلو اقتصر على الاسم المعرفة لاختص الحكم به دون غيره ، ولو اقتصر على الاسم النكرة لخرج عن هذا الوعيد الشديد من نزلت الآية بسببه . وكذلك حكم المعرفة إذا أبدل منها النكرة أن تكون النكرة منعوتة ، وإلا لم بها فائدة ، ولا كانت بيانا لما قبلها<sup>(٤)</sup>.

ب- تعريف أسماء الله.

وقد يسعى إلى تعريف أسماء الله بإدخال " الألف واللام " لغرض بلاغي كما في " سلام " الذي يشعر بذكر الله سبحانه؛ لأنّ السلام من أسمائه تعالى ، ويشعر أيضاً بطلب معنى السلامة منه [فاجتمع الذكر والتحية بتعريفه]؛ لأنّك متى ذكرت اسماً من أسمائه فقد تعرضت لطلب المعنى الذي اشتق ذلك الاسم منه أيضاً. ويشعر أيضاً - في بعض المواضع - بعموم التحية وأنها غير مقصورة على المتكلم

(١) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : الزملكاني ، ٢٨٥.

(٢) ظاهرة التنكير وأثرها في بناء الجملة العربية وتوجيهها، د. خير الدين فتاح عيسى القاسمي ، ص ١١-١٢.

(٣) لباب النقول في اسباب النزول ، السيوطي ، ٢٦١.

(٤) نتائج الفكر ٢٣٢

، فأنت ترى أنه ليس قولك : (سلام عليك). أي : " سلامٌ مني " ، بمنزلة قولك : السلام في العموم . فقف على هذا الأصل تلح لك أسرار كثيرة ، منها : ١- إجماع الأمة على أن السلام من الصلاة بالألف واللام ، إذ الصلاة كلها ذكر لله - تعالى - فلا يدخل فيها إلا باسم من أسمائه ، قال الله سبحانه : (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ) ، فسبح من " السبحة " ، وهي الصلاة. وكذلك لا يخرج منها إلا باسم من أسمائه ، وهو السلام معروفاً بالألف واللام ، فاجتمع فيه الذكر والتحية معاً. كلُّها العموم ؛ لأنه مستحيل أن يقع سلامه على نفسه خاصة ، ويبعد أيضاً رغبته عن ذكر مولاه ، وتركه التعرض لمعنى الاسم ومقتضاه !

٢- ومن فوائد هذا الأصل أيضاً إجماعهم في الرد على قولهم : (السلام عليك) بالألف واللام (لتعريف الجنس)؛ لأنها لو سقطت ههنا لصار الكلام خيراً محضاً كما تقدم في قوله : " عليك دين " ، و " في الدار رجل " أنه خبر عن المجرور في الحقيقة ، وإذا صار خيراً بطل معنى التحية والدعاء؛ لأنَّ المسلم يبدأ بالأهم وهو ذكر السلام ، فليس بمسلم من قال : (عليك) ، إنّما المسلم من قال : السلام عليك ؛ لأنَّ موضوع السلام للأحياء إنّما هو للأنس ورفع الوحشة والإشعار بسلامة الصدور ، والدعاء لا بد فيه من ذكر المدعو ، وهو السلام بالألف واللام ، فإنَّ نكرته فليس باسم من أسمائه ، فعرف بالألف واللام إشعاراً بالدعاء للمخاطب وأنك راد عليه التحية لا مخبر ، فلم يكن بدُّ من " الألف واللام " فاعرفه<sup>(١)</sup> وهذا ما يذهب إليه ابن القيم لدى تعرضه لفائدة التعريف في اسم "السلام" بقوله : (( وهو أنّ الالف واللام إذا دخلت على اسم السلام تضمنت أربعة فوائد : إحداها الإشعار بذكر الله تعالى ؛ لأنَّ السلام المعرف من أسمائه، الثانية إشعارها بطلب معنى السلامة منه للمسلم عليه ، الثالثة : أن الالف واللام يلحقها معنى العموم في مصحوبها والشمول فيه ، الرابعة: أنها تقوم مقام الإشارة إلى المعنى ... فتعريف السلام في الراد باللام اشعار

(١) نتائج الفكر ، ٣٩.

بالدعاء للمخاطب ، وأنه راد عليه التحية ، طالب له السلامة ، من اسم السلام)) (١)

فجُلَّ الأمر مقيد بالخصوص والعموم لذا فهم يسقطون الألف واللام في ((أوائل الرسائل فقد أجمع على إسقاط الألف واللام فيها [لأنها موضع خصوص] ، إذ قد تقدم أنّ [الألف واللام] مشعرة بالعموم ، والكاتبُ مؤكّد لخصوص نفسه بالتسليم ، مشعر بسلامة وده للمكتوب إليه ، ولاسيما عند افتتاح الكلام ، ليشعر المكتوب إليه الأُنس والسلام من الكاتب على الخصوص من غير التفات إلى طلب العموم. وهذا المعنى كله إنّما يحصل بإسقاط " الألف واللام . فإذا ختم الرسالة قال : (( " والسلامُ عليك " معرّفًا ، وذلك لثلاث فوائد : إحداها : أنّ الخصوص بسلام الكاتب قد حصل في أول الكتاب ووقع الأُنس به ، فكان العموم هنا أبلغ في الدعاء ، فإنّه لا يخص نفسه بل يجمع له سلامة وسلام غيره. والفائدة الثانية : أن يختم باسم من أسماء الله تعالى ، كما فعل في الصلاة. طلباً للأجر وتبركا بالذكر . واكتفى في أول الرسالة بـ بسم الله الرحمن الرحيم. وحسبك به ذكراً. والفائدة الثالثة بديعة جداً ، وهي أن " الواو " العاطفة توجب بناء الكلام على ما تقدم لا تقول كما قال القنبي : " إنهم أرادوا السلام المتقدم عليكم " ، لما رأى أن " الألف واللام " تكون للعهد ، فإنّ في ذلك نقصاً في الأدب ، وشحا بسلام مجدد ، وإخلالاً بمقاصد السلف ، لأنهم لا يريدون : السلام المتقدم عليك . وهذا غث من القول! ولكن أشعرت " الواو " بعطف فصل على فصل من الكتاب ، فلما فرغ منها قال : " والسلام عليك " يريد : وبعد هذا كله " السلام عليك " . وقد تقدم أنّ " السلام " إذا انبنى على اسم مجرور قبله كان بالألف واللام. كقولك : (عليك السلام) ، وإن لم يكن ههنا مجرور فالواو مشعرة به ومغنية عن ذكره. وهذا المعنى الذي لحظه كتّابُ السلف وقلدهم فيه الخلف ، بل ما تقول إلا أنها حكمة نبوية وفصاحة شرعية)) (٢).

ج- دخول الألف واللام على الأسماء الموصوفة.

(١) بدائع الفوائد، ٢/ ٦٦.

(٢) نتائج الفكر ٣٢١.

ومنها أن يقال : ما فائدة تعريف الصراط المستقيم بالألف واللام ؟، وهلاً أخبر بمجرد اللفظ دونهما ، كما قال : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) [ الشورى / ٥٢ ] ، وكما قال : (وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) [ الفتح / ٢ ] ، وأما تعريف (الصراط) بالألف واللام ، فإنَّ الألف واللام إذا دخلت على اسم موصوف اقتضت أنَّه أحق بتلك الصفة من غيره ، ألا ترى قولك : جالس فقيهها أو عالما ، ليس كقولك : جالس الفقيه أو العالم ؟ ولا : أكلت طيباً ، كقولك : أكلت الطيب ؟ ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام : " أنت الحق ووعدك الحق " ، ثم قال : " ولقاؤك حقُّ والجنةُ حقُّ ، والنارُ حقُّ " ، فلم يدخل الألف واللام على الأسماء المحدثه ، وأدخلها على اسم الباري - سبحانه وتعالى - وما هو صفة له ، وهو القول والوعد. فإذا ثبت هذا فلو قال : " صراطاً مستقيماً " لكان الداعي إنَّما يطلب الهداية على صراط مستقيم على الإطلاق ، وقد علم أنَّه على صراط مستقيم وهو الإسلام ، فإنَّما يطلب ما هو أقوى من طريقته التي هو عليها في علمه؛ لأنَّ كلَّ فريق من المسلمين مستقصر لنفسه في العمل ، وراغب إلى ربه ، في التوبة والهداية إلى الأفضل ، حتى ينتهي الأمر إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - فيقولها أيضاً ، لأنها أخوف لربه ، وأكثر استقصاراً لعمله ، وكان يستغفر ربه - عز وجل - ويتوب إليه في اليوم مئة مرة ... فقد قال تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : (وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) وقد كان على الصراط الأقوم ، فضلاً عن صراط مستقيم على الإطلاق ؟ فالجواب : أن هذه الآية نزلت في صلح الحديبية <sup>(١)</sup> ، وكان المسلمون قد كرهوا ذلك الصلح ورأوا أن الرأي خلافه ، وكان الله ورسوله أعلم ، فأُنزل الله تعالى هذه الآية ، فلم يرد صراطاً مستقيماً في الدين ، وإنما أراد صراطاً مستقيماً في الرأي والحرب والمكيدة وقوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). أي : تهدي من الكفر والضلال إلى صراطٍ مستقيم. ولو قال في هذا الموطن : " الصراط المستقيم " ، لجعل للكفر والضلال حظاً من الاستقامة ، إذ الألف واللام تنبئ أن ما دخلت عليه من الأسماء الموصوفة أحق

(١) لباب النقول في اسباب النزول ، السيوطي ، ٢١٤. قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم : لقد نزلت عليّ آية أحب إليّ مما على الأرض)

بذلك المعنى مما تلاه في الذكر ، أو ما قرن به في الوهم ، ولا يكون أحق به إلاً والآخر فيه طرف منه. وأما ذكره بلفظ (الطريق) في سورة الأحقاف خاصة ، فإنه انتظم بقوله سبحانه : (سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ). [الأحقاف / ٣٠] وإنما أراد أنه سبيل مطروق قد مرت عليه الرسل قبله ، وأنه ليس ببدع ، كما قال في السورة نفسها ، فاقتضت البلاغة والإعجاز لفظ " الطريق " ؛ لأنه " فعيل " بمعنى " مفعول ". أي : إنه مطروق مشتهر عليه الرسل والأنبياء قبل ، وليس في المواضع الأخر ما يقتضي هذا المعنى<sup>(١)</sup>. ففتق ببلاغته عن أسرار الصنعة التي اكتتفت التعبير عن الطريق معرفةً وفائدة تعريفها بعد أن أرجعها إلى أصلها اللغوي .

### ٣- الذكر والحذف .

الذكر والحذف ، الحذف لغة : قطف الشيء من الطرف<sup>(٢)</sup>، وإصطلاحاً: إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل<sup>(٣)</sup> ويفرق بعض العلماء بين الحذف والإضمار، في أن الحذف إسقاط الشيء لفظاً ومعنى، أما الإضمار فهو إسقاط الشيء لفظاً لا معنى، ولا بد في الحذف والإضمار من مقدر<sup>(٤)</sup>، وعرفه ابن جني في الخصائص بقوله : (( تثبيت للمعنى وتوطيد له في النفس ، ويكون في ذكره فضلاً عن ذلك معانٍ لا تستفاد إذا حذف ))<sup>(٥)</sup> وقال ابن السراج : (( وأعلم أن جميع ما يحذف فإنهم لا يحذفون شيئاً إلاً وفيما أبقوا دليلاً على ما ألقوا ))<sup>(٦)</sup> فظاهرة الذكر والحذف من دقائق اللغة وبديع بيانها وسر من أسرار جمالها ، ففي هذا الأسلوب إشارات لطيفة وفوائد شريفة تنقل لك المعنى من أوسع أبوابه ، وهو من الأبواب اللطيفة والبديعة عند أهل اللغة

(١) نتائج الفكر ٢٤ .

(٢) العين ٢٠١/٣، أساس البلاغة، الزمخشري، ١٧٧/١، لسان العرب ٤٠/٩ ، الصحاح ٥٨/١ [مادة حذف]

(٣) البرهان، الزركشي، ١٠٢/٣، وينظر، الصاحبى (كتاب في فقه اللغة) ، ابن فارس ، ٣٤٧ .

(٤) الكليات، الكفوي ٣٨٤، وللمزيد: الوجوه الدلالية عند علماء القراءات إلى القرن السادس الهجري، فائزة عباس

حميدي الأدرسي، ٢١٨-، وأسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، د. مصطفى شاهر

خلف، ١١ .

(٥) الخصائص، ٣٦٠/٢

(٦) الأصول في النحو، ٢٥٤/٢

العربية؛ إذ عدوه من المسائل التي تُكسب الكلام جمالاً وروعة، وتَمنحه جودة وبلاغة، بل إنه من الأساليب التي لا يُحسنها إلا المتمكّنون في اللغة والبارعون في أساليبها، حتى أنّ إمام البلاغة عبدالقاهر الجرجاني قال عن هذا الباب: ((هو باب دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به تركّ الذّكر أفصح من الذّكر، والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون بياناً إذا لم تُن))<sup>(١)</sup> كما أشار الإمام - أنّ ترك الإفصاح أبلغ من الإفصاح نفسه، وأنّ التلميح أبلغ من التصريح، بل إنك تجد في بعض الأحايين السكوت أبلغ جواباً، وأحسن بياناً، وهو من الأساليب التي اتّخذتها العرب في كلامها؛ لتزيينه وتنميته، وجعله أبلغ تأثيراً، وأكثر تعبيراً، ونرى أن الثعالبي "قد خصّص فصلاً لذلك، ووسّمه بما يأتي": فصل مُجمل في الحذف والاختصار، فهو من سنن العرب المتبعة وهو عند أهل البلاغة قسمان: قسم يَظهر فيه المحذوف عند الإعراب، "، وليس هذا القسم من البلاغة في شيء، يعني أنّ هذا القسم إنّما يُعنى به علماء اللغة الذين يدرسون العلاقات التركيبية بين الكلمات، ويُقدرون المحذوفات بحسب ما يقتضيه الإعراب، ويُحتمّه موقع الكلمة من الإعراب، وآخر لا يَظهر فيه المحذوف بالإعراب، وإنّما تَعلم مكانه إذا أنت تصفّحت المعنى وجدته لا يتمّ إلا بمُراعاته، ولكن لا سبيل إلى إظهار ذلك المحذوف، ولو أنت أظهرته، لزالَت البهجة، وضاع ذلك الرّونق، وهذا هو القسم الذي تناقشه البلاغة، ويَظهر فيه دقائق البيان، ومكون التعبير، وروائع الأسلوب<sup>(٢)</sup> وتعد ظاهرة الحذف من السمات التي امتازت بها اللغة العربية إذ إنها تنحو نحو الاختصار والإيجاز وعدم ذكر ما لافائدة ترتجى من ذكره حتى صار ذلك من سماتها المميزة<sup>(٣)</sup> وبين علي أبو المكارم أنّ اللفظ قد مرّ بمراحل تطور دلالي، إذ كان الحذف مقيداً بالطرف أول الأمر، ثم تطور فشمل دلالات متعددة، وأغلب ماورد من الاصطلاحات المقاربة، الاستغناء، الاتساع، الاختصار،

(١) دلائل الإعجاز، ١١٢

(٢) فقه اللغة وسر العربية الثعالبي، ٣٧٦-

(٣) التوجيه النحوي في كتب أحكام القرآن، حيدر التميمي ١٧٩.

الاضمار ، التقدير ، التضمن ، التأويل<sup>(١)</sup> وأنّ مظاهر الحذف ثلاثة : حذف اكثر من جملة ، وحذف الجملة ، وحذف بعض أعضاء الجملة<sup>(٢)</sup> وأسبابه كثرة الاستعمال ، طول الكلام ، الضرورة الشعرية ، والحذف للإعراب ، والحذف للتركيب ، والحذف لأسباب قياسية أو صوتية<sup>(٣)</sup> ، ولا يتم الحذف العلماء إلاّ بشروط منها : وجود الدليل على المحذوف ، الا يكون المحذوف كالجاء ، ألاّ يؤدي الحذف إلى نقص الغرض ، وألاّ يؤدي إلى اللبس<sup>(٤)</sup> ، ولا يكون في الجملة حذف إلاّ إذا دلّ عليه دليل حالي أو مقالي يوحي بالمحذوف لكي يتسنى للمخاطب الوصول الى الفكرة التي يحملها النص كاملة لا نقص فيها . وهو ما بينه من قبل المبرد إذ قال : (( ولا يجوز الحذف حتى يكون المحذوف معلوماً بما يدل عليه من متقدم خبر أو مشاهدة حال ))<sup>(٥)</sup> ، فالنصوص اللغوية وسيلة لنقل الأفكار الى المخاطب ولولا أن المخاطب يستدل على الحذف بالقرائن الموجودة في النص التي توحى بالمحذوف<sup>(٦)</sup> وأشار السهيلي إلى مواضع متعددة منها وإلى أسرارها :-

#### أ- حذف الألف واللام.

فقد بين السهيلي سرّاً من أسرار الحذف عند وقوفه على قوله تعالى: (سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) [الصافات / ١٠٩] و(سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ) [الصافات / ٧٩] إذ بين سر حذف الألف واللام في القرآن من قوله تعالى وبين مقام المتكلم وما له من صلة أوجبت هذا الحذف إذ بين سر حذف الألف واللام في قوله تعالى: (سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) و(سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ) ، لاستغناء هذه المواطن عن الفوائد الثلاث التي تقدم ذكرها في " الألف واللام "؛ لأنّ المتكلم هنا هو الله سبحانه فلم يقصد تبركاً بذكر الاسم الذي هو السلام ، ولا تعرضاً وطلباً كما يقصده العبد ، ولا عموماً في التحية منه ومن

(١) الحذف والتقدير في النحو العربي ، علي أبو المكارم ، ١٩٩ .

(٢) المصدر نفسه ١٤٦ . وللمزيد : مغني اللبيب عن كتب الاعراب ، ابن هشام ، ٢ / ٦٢٤ .

(٣) ظاهرة الحذف في درس اللغوي طاهر سلمان حمودة ، الصفحات على التوالي [ ٣١ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٣ ] .

(٤) ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبدالسلام ٣٤ .

(٥) المقتضب ، المبرد ٨١/٢ .

(٦) ينظر: مراعاة المخاطب في بناء الاحكام النحوية حتى نهاية القرن السادس الهجري ، بان صالح مهدي ١٩٠ .

غيره ؛ لأنّ سلاماً منه - سبحانه - كاف من كل سلام ، ومغن عن كل تحية ، ومرب على كل أمنية ، فلم يكن لذكر " الألف واللام " معنى ههنا ، كما كان لها في قول المسيح - عليه السلام - : ( وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ ) [مريم/٣٣] ؛ لأنّ هذا العبد الصالح يحتاج كلامه إلى هذه الفوائد الثلاثة ، وأوكدها كلها العموم ؛ لأنّه مستحيل أن يقع سلامه على نفسه خاصة ، ويبعد أيضاً رغبته عن ذكر مولاه ، وتركه التعرض لمعنى الاسم ومقتضاه<sup>(١)</sup> !

ب- حذف الفاعل:

وقد بين ذلك من خلال المقابلة بين قوله عليه الصلاة والسلام : [ فليكفر عن يمينه وليأتِ الذي هو خير ]<sup>(٢)</sup> إذ أدخل في كلامه ( عن ) لتؤذن بمعنى الخروج عن اليمين ، لما ذكر الخارج الفاعل وهو الضمير المستتر في ( يكفر ) فكأنّه قال : فليخرج بالكفارة عن يمينه ، ولما لم يذكر الفاعل المكفر في قوله سبحانه : ( ذلك كفارة أيمانكم ) لم يدخل ( عن ) ولا احتيج إليها وأضيفت ( الكفارة ) إلى ( الإيمان ) إضافة المصدر إلى المفعول ، وإن كانت الأيمان لا تكفر وإنما يكفر الحنث والإثم ، ولكن الكفارة حل لعقدة اليمين ، فمن هنالك أضيفت إلى اليمين كما يضاف الحل إلى العقد ، إذ اليمين عقد والكفارة حل له ، والله المستعان ))<sup>(٣)</sup> فالإضافة هاهنا من باب إضافة الشيء إلى ما يبينه كما بينه السهيلي رحمه الله وفي هذا يقول ابن يعيش : " وأما قوله تعالى (( ويكفر عنكم من سيئاتكم )) فإن من ( للتبويض ) أيضاً لأن الله عز وجل وعد على عمل ليس فيه التوبة ، ولا اجتناب الكبائر تكفير بعض السيئات ، وعلى عمل فيه توبة واجتناب الكبائر تمحيص جميع السيئات ، يدل على ذلك قوله تعالى في الآية ﴿ إِنَّ بُدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا

(١) نتائج الفكر ٣٢٠.

(٢) سنن النسائي ١٠/٧.

(٣) نتائج الفكر ٢٥٨ - ٢٥٩.

وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ [البقرة/ ٢٧١] فجاء ب ( من ) ههنا ، وفي قوله ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [النساء ٣١] لم يأت ب( من ) ؛ لأنه سبحانه وعد باجتتاب الكبائر تكفير جميع السيئات ، ووعد باخراج الصدقة على ما حد فيها ، تكفير بعض السيئات<sup>(١)</sup> .

ج- حذف المفعول به.

وفي بيان ذلك وقف الامام السهيلي عند قول المصلي في صلاته: سمع الله لمن حمده وبين المناسبة والسبب النحوي في حذف المفعول بقوله : وأما قولهم: (( سمع الله لمن حمده )) فمفعول سمع محذوف ؛ لأنَّ السمع متعلق بالأقوال والأصوات دون ما عداها ، فاللام على بابها ، الا أنها تؤذن بمعنى زائد وهو الاستجابة المقارنة للسمع ، فاجتمع في الكلمة الإيجاز والدلالة على المعنى الزائد وهو الاستجابة لمن حمده . وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [النمل/ ٧٢] ليست اللام لام المفعول - كما زعموا - ولا هي زائدة ، ولكن ردف فعل متعد ومفعولها غير هذا الاسم ، كما كان مفعول ( سمع ) غير الاسم المجرور ، ومعنى ردف : تبع وجاء على الأثر ، فلو حملته على الاسم المجرور لكان المعنى غير صحيح إذا تأملته ، ولكن المعنى : ردف لكم استعجالكم وقولكم ؛ لأنهم قالوا : ( متى هذا الوعد ) ؟ ، ثم حذف المفعول الذي هو القول والاستعجال ، اتكالا على فعل السامع ، ودلت اللام على الحذف لمنعها الاسم الذي دخلت عليه أن يكون مفعولا ، وأذنت بفائدة أخرى وهي معنى ( عجل لكم ) فهي متعلقة بهذا المعنى ، فصار معنى الكلام : قل : فدلت ردف على أنهم قالوا : واستعجلوا ، ودلت اللام على المعنى الآخر ، فانتظم الكلام أحسن نظام واجتمع

(١) شرح ابن يعيش ، ٨ / ٣١ .

الإيجاز مع التمام . وظهر الإعجاز في النظم والبلاغة في الخطاب. وهذه نكتة لمتدبرها خير من الدنيا بحذافيرها (١).

#### د- إسقاط حرف الجر:

ذكر السهيلي في نتائج الفكر اللمسة البيانية من إسقاط حروف الجر أو إثباتها فقال متسائلاً : فإن قيل : فما قولكم في نحو قوله ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّدْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [نوح / ٤] و ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف / ٣١]؟ قلنا : هي متعلقة بمعنى الإنقاذ والخروج من الذنوب ، وإنما دخلت لتؤذن بهذا المعنى ولكن لا يكون ذلك في القرآن إلا حيث يذكر الفاعل الذي هو المذنب نحو قوله : لكم لأنه المنفذ المخرج من الذنوب بالإيمان ولو قلت : (( يغفر من ذنوبكم )) - دون أن تذكر الاسم المجرور - لم يحسن إلا على معنى التبعية؛ لأنَّ الفعل الذي كان في ضمن الكلام وهو الإنقاذ ، وقد ذهب بذهاب الاسم الذي هو واقع عليه . فإن قلت : فقد قال : ﴿ رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ [آل عمران: ١٩٣] وقال في سورة الصف : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [الصف: ١٢] فما الحكمة في سقوطها هنا ؟ وما الفرق ؟ . فالجواب : أن هذا إخبار عن المؤمنين الذين قد سبق الإنقاذ من ذنوب الكفر بإيمانهم ، ثم وعدوا على الجهاد بغفران ما اكتسبوا في الإسلام من الذنوب ، وهي غير محيطة بهم كإحاطة الكفر المهلك بالكافر فلم يتضمن الغفران معنى الاستنقاذ ، إذ ليس ثم الإحاطة من الذنب بالمذنب ، وإنما تضمن معنى الإذهاب والإبطال للذنوب ؛ لأنَّ الحسنات يذهبن السيئات ، بخلاف الآيتين المتقدمتين فإنَّهما خطاب للمشركين وأمر لهم بما ينقذهم ويخلصهم مما أحاط بهم وهو الكفر ، وأمَّا المؤمنون فقد أنقذوا، وأمَّا قوله في آية الصدقات ( ويكفر عنكم من سيئاتكم ) فهي في موضع من التي للتبعية؛ لأنَّ الصدقة لا

(١) نتائج الفكر، ٣٥.

تذهب جميع الذنوب كالجهاد<sup>(١)</sup>. وهذا ما عناه السهيلي قال النحاس : " فأما قوله تعالى ((ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا " فالتقدير إذا حلفتم وحنثتم فحذف ))<sup>(٢)</sup> حنثتم و لا بد من إضماره؛ لأنَّ الكفارة بالحنث تجب لا بذكر اسم الله وهذه من طرائف العربية؛ لأنَّ حنثتم معطوف على حلفتم؛ و " حلفتم " مجرور بالإضافة، فكأنَّه قال : وقت حلفكم وحنثكم، والمتعارف حذف المضاف دون المضاف إليه وقد جاء ذلك أيضاً في التنزيل، وله باب في هذا الكتاب ومن ذلك إضمار القول في قوله تعالى " ورفعنا فوقكم الطور خذاً " في الموضعين في سورة البقرة وفي قوله تعالى " وظنوا أنه واقع بهم خذوا أي قلنا لهم خذوا مثله ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ [البقرة / ١٢٧] أي يقولان ربنا

#### هـ - ذكر الظاهر دون المضمّر

وقد يلجأ للذكر لدلالة خاصة من ذلك أن يذكر الظاهر دون المضمّر . كما في قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة/ ٢١٧] وفيها سؤال آخر ، وهو أنه أعاد ذكر القتال بلفظ الظاهر ، وكان القياس أن يعيد بلفظ المضمّر فيقول : ( قل : هو كبير ) كما لو سأل إنسان عن رجل في الدار لقال هو فلان أو ( هو طويل أو قصير ) بلفظ المضمّر ، ويقبح أن يقول بلفظ الظاهر ، لأن المضمّر - إذا عرف المعنى - أوجز وأولى . والجواب أن يقال : في إعادة لفظ الظاهر هنا فائدة ، وهي عموم الحكم ن ولو جاء بلفظ المضمّر فيقول : ( هو كبير ) لاختص الحكم بذلك القتال الواقع في القصة ، وليس الأمر كذلك ، وإنما هو عام في كل قتال وقع في شهر حرام<sup>(٣)</sup>.

#### ٤-التوابع .

(١) نتائج الفكر ٢٥٨ .

(٢) أعراب القرآن للنحاس ٣٨ / ٢ .

(٣) نتائج الفكر ٢٤٣ .

وينتقل السهيلي في ربي حديقة فكره البياني النحوي إلى باب التوابع ليتحفنا بنظراته البيانية للمعاني القرآنية من خلال كتابه المانع نتائج الفكر إذ يبين مواضع متعددة منها:

#### أ- العطف.

وهو من الأساليب التي أطال السهيلي الحديث فيها وأدخلها في غالب الموضوعات، وتحدث عن أثر الحرف ودلالته:

#### ١- العطف بالفاء.

وتأتي حروف العطف لتؤدي مؤداها في البيان القرآني ومن هذه الحروف هي الفاء التي تفيد الترتيب، والتعقيب، والتسبيب فالتعقيب معناه أن وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه بغير مهلة أو بمدة قريبة جاء في المقتضب عن الفاء الدالة للتعقيب: (( وهي توجب أن الثاني بعد الأول وأن الأمر بينهما قريب ))<sup>(١)</sup>، ف((هي موضوعة للتعقيب، وقد تكون للتسبيب والترتيب وهما راجعان إلى معنى التعقيب؛ لأن الثاني بعدهما أبدا إنما يجيء عقب الأول، والتسبيب نحو (ضربته فبكى) والترتيب مثل: قوله سبحانه: ﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَ هَابًا سَنَا﴾ [الاعراف/ ٤] دخلت الفاء لترتيب اللفظ؛ لأن الهلاك يجب تقديمه في الذكر؛ لأن الاهتمام به أولى، وإن كان مجيء البأس قبله في الوجود... وأما قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] فالفاء على أصلها من التعقيب، وإن كانت الاستعاذة قبل القراءة، إلا أن العرب تعبر بالفعل عن ابتدائه تارة، وتعبر به عن انتهائه والفرغ منه أخرى، فعلى هذا يكون معنى قرأت في الآية: أي شرعت في القراءة، وأخذت

(١) المقتضب، المبرد ١/ ١٠. وينظر: كتاب حروف المعاني، الزجاجي، ٣٩.



القراءة لكون القراءة مسببة عن إرادتها استعمالا مجازيا بقريئة الفاء في ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ وفي قوله ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ في موضع أردنا إهلاكها بقريئة ﴿فَجَاءَهَا بِأَسُنًا﴾ والبأس الإهلاك، والتعبير عن إرادة الفعل بذكر الصيغة التي تدل على وقوع الفعل يكون لإفادة عزم الفاعل على الفعل، عزمًا لا يتأخر عنه العمل، بحيث يستعار اللفظ الدال على حصول المراد، للإرادة لتشابههما، وإما الإتيان بحرف التعقيب بعد ذلك فللدلالة على عدم التريث، فدل الكلام كله: على أنه تعالى يريد فيخلق أسباب الفعل المراد فيحصل الفعل، كل ذلك يحصل كالأشياء المتقارنة، وقد استفيد هذا التقارب بالتعبير عن الإرادة بصيغة تقتضي وقوع الفعل، والتعبير عن حصول السبب بحرف التعقيب، والغرض من ذلك تهديد السامعين المعاندين وتحذيرهم من أن يحل غضب الله عليهم فيريد إهلاكهم، فضيق عليهم المهلة لئلا يتباطأوا في تدارك أمرهم والتعجيل بالتوبة. والذي عليه المحققون أن الترتيب في فاء العطف قد يكون الترتيب الذكري، أي ترتيب الإخبار بشيء عن الإخبار بالمعطوف عليه. ففي الآية أخبر عن كيفية إهلاكهم بعد الخبر بالإهلاك، وهذا الترتيب هو في الغالب تفصيل بعد إجمال، فيكون من عطف المفصل على المجمل، وبذلك سماه ابن مالك في التسهيل، ومثل له بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرْبًا﴾ [الواقعة: ٣٥، ٣٧] (١).

## ٢- العطف ب (لا) و (الواو).

وأوضح السهيلي رحمه الله بفكره اللغوي فائدة العطف بالحروف وموقعها، وبين علل التعبير إذ استبدلت بغيرها وهل تعطي الفائدة البيانية من ذلك؟ إذ قال " ومنها أن يقال : ما فائدة العطف ب " لا " من قوله : (ولا الضالين). ولو قال : (الضالين) ، لما اختل الكلام ، وكان أوجز ؟ ولم عطف ب " لا " ، وهي لا يعطف بها مع " الواو " إلا بعد نفي ، ولو كانت وحدها لعطف بها بعد إيجاب ، كقولك : مررت بزيد لا

(١) التحرير والتتوير للطاهر بن عاشور ٨ / ١٧.

عمرو ؟ فنظر السهيلي نظرة التأمل بالعطف بلا مع الواو بقوله : " وأما فائدة العطف بلا مع " الواو " فللتأكيد النفي الذي تضمنه (غير) ، فلولا ما فيها من معنى النفي لما عطف بلا مع " الواو ". وفائدة هذه التوكيد أن لا يتوهم أن " الضالين " داخل في حكم (الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ) ، أو وصف لهم ، ألا ترى أنك إذا قلت : " ما مررت بزيد وعمرو " ، توهم أنك إنما تتفي الجميع بينهما خاصة ، فإذا قلت : " ما مررت بزيد وعمرو " ، علم أنك تتفي الفعل عنهما جميعاً ، على كل حال من اجتماع وافتراق" (١). وهو ما ذكره العلماء من قبل قال الزجاجي : " العطف بمنزلة (كم) وذلك أن كم إنما تقع على الأفعال المضارعة ، فكل ما جاز دخول (كم) عليه حسن دخول (لا) عليه فقال : أمر بعبدالله لا بزيد ، ولو قلت : مررت بعبدالله لا بزيد لم يجز ؛ لأنك إنما تتفي بها في المستقبل لا في الماضي ، وذلك أن الماضي يوجب وجود الفعل ؛ لأنه قد كان ، ولا ينفى وجوده ، ولا يكون النفي مع الوجود في حال وقال البصريون لاتعطف بنفسها ، وبالواو معها وإنما كان ذلك فيها دون أخواتها ؛ لأن ( لا ) قد تكون للنفي في قولك : لارجل عندك فلم تخلص في باب النسق فلذلك قويت بالواو ، فإنما تتفي إذا كان قبلها مضارع كقولك : أظن عبدالله قائماً لا زيداً جالساً ولو قلت : ظننتُ عبدالله قائماً لا زيداً جالساً لم يجز ؛ لأنك لاتقول : لا ظننت زيداً " (٢)

ب-باب البدل :

استشهد له بقوله تعالى ﴿ أَهْدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ الفاتحة: ٦ - ٧ ) قال: ((وفي هذه الآية ضروب من الأسئلة ، منها أن يقال : ما فائدة البدل في الدعاء ، والداعي مخاطب لمن لا يحتاج إلى البيان ، والبدل يقصد به بيان الاسم الأول ؟. فأجاب السهيلي بأسلوب رائع

(١) نتائج الفكر ٢٤.

(٢) حروف المعاني الزجاجي ٣١. وينظر معاني القرآن وعرابه للزجاج ١/ ١٧.

اللمسة البيانية عن البديل الموجود في الآية الكريمة بقوله: " والجواب عن السؤال الأول ، وهو : ما فائدة البديل في الدعاء ؟ وفي هذا القول يتأكد أسلوبه في توخي معاني النحو بكشف الاغراض النحوية إذ وردت الآية في مقام تعليم العباد للدعاء ، وحقّ الداعي أن يستشعر عند دعائه ما يجب عليه اعتقاده مما لا يتم الإيمان إلاّ به. إذ " الدعاء مخ العبادة ". والمخ لا يكون إلاّ في عظم ، والعظم لا يكون إلاّ تحت دم ولحم ، فإذا وجب إحضار معتقدات الإيمان عند الدعاء ، وجب أن يكون الطلب ممزوجاً بالثناء ، فمن ثم جاء لفظ الطلب : للهداية ولفظ الرغبة مشوباً بالخير تصريحاً من الداعي به بمعتقده ، وتوسلاً من الداعي بذلك المعتقد إلى ربه ، فإذا قال : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ). والمخالفون للحق يزعمون أنهم على الصراط المستقيم أيضاً ، والداعي يجب عليه اعتقاد خلافهم وإظهار الحق الذي في نفسه ، فلذلك أبدل وبين ليمرن اللسان على ما اعتقده الجنان<sup>(١)</sup> (وفي ذلك بيان لعل التعبير) ، إذ أخبر مع الدعاء أنّ الصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين. لا من خالفهم من الكافرين. فجاء نظم الآية بأسلوب الإبدال أو البيان دون أن يقال: إهدنا صراط الذين أنعمت عليهم المستقيم، ((لفائدتين: الأولى : أنّ المقصود من الطلب ابتداء هو كون المهدي إليه وسيلة للنجاة واضحة سمحة سهلة، وأما كونها سبيل الذين أنعم الله عليهم فأمر زائد لبيان فضله. الفائدة الثانية: ما في أسلوب الإبدال من الإجمال المعقب بالتفصيل ليتمكن معنى الصراط للمطلوب فضل تمكن في نفوس المؤمنين الذين لقنوا هذا الدعاء فيكون له من الفائدة مثل ما للتوكيد المعنوي، وأيضاً لما في هذا الأسلوب من تقرير حقيقة هذا الصراط وتحقيق مفهومه في نفوسهم فيحصل مفهومه مرتين فيحصل له من الفائدة ما يحصل بالتوكيد اللفظي واعتبار البدلية مساو لاعتباره عطف بيان لا مزية لأحدهما على الآخر خلافاً لمن حاول التفاضل بينهما، إذ التحقيق عندي أنّ عطف البيان اسم لنوع من البديل وهو البديل المطابق وهو الذي لم يفصح أحد من النحاة على تفرقة معنوية بينهما ولا

(١) نتائج الفكر ٢٤.

شاهدا يعين المصير إلى أحدهما دون الآخر))<sup>(١)</sup>. فيفهم من كلامه أنّ فائدة الإبدال أمران يرجعان إلى التوكيد وهما ما فيه من التنثية أي تكرار لفظ البديل ولفظ المبدل منه وعنى بالتكرير ما يفيد البديل عند النحاة من تكرير العامل وهو الذي مهد له في صدر كلامه بقوله: وهو في حكم تكرير العامل كأنه قيل: اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين ، وسماه تكريرا ؛ لأنه إعادة للفظ بعينه، بخلاف إعادة لفظ المبدل منه فإنه إعادة له بما يتحد مع ما صدقه فلذلك عبر بالتكرير وبالتثنية، ومراده أنّ مثل هذا البديل وهو الذي فيه إعادة لفظ المبدل منه يفيد فائدة البديل وفائدة التوكيد اللفظي، وقد علمت أنّ الجمع بين الأمرين لا يتأتى على وجه معتبر عند البلغاء إلاّ بهذا الصوغ البديع. فتوخى رحمه الله معاني النحو ليكشف الأغراض النحوية التي اكتتفت قوله تعالى المار أنفا مبينا من خلال فكره الوقاد في علل التعبير من خلال فائدة البديل في البيان القرآني.

(١) التحرير والتنوير ١ / ١٨٩.

### المبحث الثالث:- الفروق النحوية.

يأتي الفرق للفصل بين الشئئين والتميز بينهما، تقول : فرقت بين الشئئين أفرق فرقا<sup>(١)</sup> وهي الفروق التي تقع في السياق بين الألفاظ المتقاربة المعاني: وبمعنى آخر : هي المعاني البيانية- ظلال المعاني المركزية- التي تنبثق من الاختلاف في دقة استعمال المفردات- أسماء وأفعالا وحروفا- والجمل النحوية، وتدرك هذه المعاني من خلال استجابة النفس لهذا الاختلاف من خلال عامل التأثير في النفس الانسانية؛ لأن سر الإعجاز يكمن في التقاط خيوط تلك المعاني من الاختلاف فيما هو مستعمل ولاسيما في القرآن الكريم، وذلك يتأتى فضلا عن النظر في المفردات، والتراكيب المستعملة من تفسير نفساني للمستعمل يقوم على الإحاطة المستطاعة بما عرف العلم من أسرار حركات النفس البشرية<sup>(٢)</sup> .

ولقد اتخذ علماء اللغة والبيان القرآني الفرق النحوي أساسا مهماً من أسس الإعجاز البياني في كشف ميزة اختيار المفردة في موضعها فبينوا تقرد المفردة القرآنية بمكانها من حيث ملاءمتها للسياق الذي تقوم فيه، وسر استعمالها دون غيرها، ثم ازدادت العناية بهذا التفسير حتى أصبح مذهباً من مذاهب التفسير البياني، الذي يعتمد على التناول الموضوعي لما يراد فهمه من القرآن الكريم، فقد لا يكون لها تلك الميزة في كلامنا، "إذا قارناها في الآيات وجدنا أنها تتجاوز كل تعبيرنا، متمكنة من موضعها بمنزلة اللبنة المطلوبة للبناء الكلي"<sup>(٣)</sup> والتي يكشفها النص وما يحيطه من ظروف وأحداث ملابسة له كالزمان، والمكان، وأسباب النزول وغير ذلك، وقد بين السهيلي سر استعمال هذه الفروق معتمداً في بيانه على فهم ما حول

(١) العين ١/٣٩٦.

(٢) أعلام العرب، (أمين الخولي)، ١٢٢، د. . .، [الفروق النحوية في المتشابه اللفظي من البيان القرآني واطروحة

دكتوراه، قحطان جاسم محمد المنزود، ٣.

(٣) جماليات المفردة القرآنية نور الدين عتر ٢٩٦-٢٩٧.

النص من ظروف وأحداث وملابسات وأحوال المخاطبين وهذا يفهم من خلال فهم السر البياني في التعبير من خلال الاحتكام إلى سياق النص القرآني ومقامه.

#### أ- الفروق في الأسماء الموصولة.

وفي حديث السهيلي عن مجيء الاسم الموصول في الفاتحة: (الذين أنعمت عليهم) ، وعدم القول: (المنعم عليهم) قال " ومنها أن يقال: لِمَ عبر عنه بلفظ " الذين " موصولة بصلتها ، وقد كان أوجز وأخصر أن يقال: المنعم عليهم ، إذ الألف واللام في معنى الذي ، كما قال: (المغضوب عليهم) ولم يقل: " الذين غضبت عليهم؟ " . ومنها أن يقال: لِمَ وصفهم بـ (غير) ، وقد كان الظاهر أن يقول هاهنا " لا المغضوب عليهم " ، كما تقول: " مررت بزيد لا عمرو ، وبالعاقل لا الأحمق " فأجاب السهيلي (رحمه الله) بفكره البياني النحوي عن هذه المسألة بقوله: " والفائدة الأخرى أنّ الآية عامة في طبقات المسلمين مسيئهم وصالحهم. والمسيء لا يطلب درجة العالي حتى ينال التي هي أقرب إليه ، ولفظ (الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) يشمل الجميع ، وجميع المأمورين بهذا الدعاء يطلب صراط الذين أنعم الله عليهم ، وهم أصناف ، كما أنّ السائلين لدرجاتهم أصناف. وأمّا قوله تعالى: (الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) ، ولم يقل: " المنعم عليهم " ، فلأن ذكر نعمة المنعم والثناء بها عليه وذكر النعم شكر ، وإبراز ضمير الفاعل العائد على الله سبحانه من قوله: (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) ذكر الله تعالى باللسان والقلب ، ولو قال: " المنعم عليهم " لخلا هذا اللفظ من هذه الفوائد المقرونة بالدعاء ، وهي الشكر والذكر ، ألا ترى إلى قول إبراهيم عليه السلام: (وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي) ؟ فأضاف الفعل إلى ربه ، ثم قال: (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي). ولم يقل: " أمرضني " ، كما قال: (يُطْعِمُنِي) ، إذ ليس في قولك " أمرضني " إلا الإخبار المجرد عن الشكر والثناء ، وربما اقترن به تسخط وتضجر ، فعدل عنه إلى قوله: (مَرِضْتُ). ولذلك قال سبحانه: (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) ولم يقل: " الذين غضبت عليهم " ، إذ ليس في الإخبار عنه بالغضب من الشكر والإحسان

ما في قوله : (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) ؟ فكان اللفظ الوجيز أولى.ولفائدة أخرى وهي أنّ الغضب صفة ينبغي للعبد أن يشترك فيها مع الرب فيغضب لغضب الله تعالى ، فاليهود قد غضب عليهم لغضب الله وجميع المؤمنين ، فاستشعر الداعي هذا المعنى فلم يقل : " الذين غضبت عليهم " . إذ لو قال ذلك لأخرج نفسه عن أن يغضب لغضب الله ، كما أخرج نفسه عن أن ينعم ، وأفرد الرب بالإنعام فقال : ((أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)).وفائدة أخرى ، وهو أنّ الألف واللام في (المغضوب) ، وإن كانت بمعنى " الذين " فليست مثلها في التصريح والإشارة إلى تعيين ذات الاسم ، فإنّ قولك : " الذين فعلوا " معناه : القوم الذين فعلوا ، وقولك : " الضاريون والمضربون " ليس فيه ما في قولك " الذين ضربوا أو ضربوا " ، وإذا صح هذا وتأملتة فالذين أنعمت عليهم بلفظ (الذين) إشارة إلى تعرفهم بأعيانهم ، وتعرفهم من الدين ولا سيما النبيين.بخلاف من غضب الله عليهم فوجب الإعراض عنهم وترك الالتفات إلى ذاتهم ، فاقصر على الصفة المذمومة دون أنّ يعينوا بالذين.وأما قوله : (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ)نعماً للذين ، ولم يقل : " إلاّ المغضوب عليهم " لفائدة وهو أنّ اليهود والنصارى يدعون أنّ الله - تعالى - أنعم عليهم بالكتابين ، وأنّهم على الصراط المستقيم ، فبين سبحانه أنّ الذين أنعم عليهم هم غير المغضوب عليهم ، وهم اليهود ، ولم يقل اليهود ، " تجريداً للفظ ، ليخرجهم بذكر الغضب عن صفة المنعم عليهم ، وكذلك الضالين.وقد تقدم في باب العطف ذكر " لا " في هذا الموضع ، وأنها تعطي العطف بعد إيجاب فلو عطف بها هاهنا لم يكن في الكلام أكثر من نفي إضافة الصراط إلى اليهود والنصارى ، فلما جاء بغير ، وهي اسم ينعت بها ، زاد في الكلام فائدة الوصف والثناء للذين أنعم عليهم، فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة ثم قال : " غير المغضوب عليهم عطفاً على الأول<sup>(١)</sup> ، لأنّ الأول موضع التقرب من الله بذكر نعمه وآلائه

(١) نتائج الفكر .٢٤ .

فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب فأسند إليه النعمة لفظا وزوى عنه لفظ الغضب تحننا ولطفا<sup>(١)</sup>

ب- الفرق بين التعريف والتكثير .

اشتمل هذا البيان على علل النحو اللطيفة ، وأسرار هذه اللغة الشريفة .  
ففي حديثه عن قوله تعالى ﴿ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل/ ٦٩] ، وسر قوله: (من كل الثمرات) ، وعدم قوله: من الثمرات كلها ، ففيها الحكمة التي في الآية قبلها ، ومزيد فائدة وهو انه (( قد تقدم في النظم قوله : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل/ ٦٧] ؛ لأن الألف واللام إنما تردك إلى المعهود عندك ، أو المتقدم في الخطاب ، فكان الأبتداء بـ كل أحسن للمعنى ، وأجمع للجنس ، وأرفع للبس ، وأبدع في النظم المعجز لذوي الألباب ))<sup>(٢)</sup> و (كُلُّ) هنا مستعملة في معنى الكثير، وهو استعمال وارد في القرآن والكلام الفصيح، قال تعالى: ﴿ لَوْ لَوُ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ ﴾ [يونس: ٩٧]، ومنه قول النابغة: [البحر الطويل]

[ بها كل ذيال وخنساء ترعوي ]<sup>(٣)</sup>

ج- الفروق بين المصادر .

وتحدث عن المصادر التي تحدد بالهاء ووقف عند لفظة (الحمد) وتحديدًا عند قوله تعالى : ( الحمدُ لله ) قال : " وأما حمداً فما أحسبه يقال في تحديده : حمده،

(١) اعراب القرآن الكريم وبيانه المؤلف : محي الدين الدرويش / ١ / ١٧ .

(٢) نتائج الفكر ص ٢١٧ - ٢١٨

(٣) ديوان النابغة الذبياني ٢٧ .

كما تقول: مدحته مدحه؛ لأنّ حمد فعل يتضمن الثناء مع العلم بما يثني به، فإنّ تجرد عن العلم كان مدحاً ولم يكن حمداً، فكلُّ حمدٍ مدح وليس كلُّ مدح حمداً، ومن حيث كان يتضمن العلم بخصال الممدوح جاء فعله على حمد بالكسر موازياً للعلم، ولم يجيء كذلك مدح، فصار المدح في الأفعال الظاهرة كالضرب ونحوه، ومن ثم لم نجد في الكتاب ولا في السنة حمد ربنا فلانا. وقد تقول: مدح الله - سبحانه فلانا، وأثنى على فلان. ولا تقول: حمد إلا لنفسه ولذلك قال الله - سبحانه - ( الحمدُ لله ) بالألف واللام التي للجنس، فالحمدُ كلُّه له إمّا ملكاً وإمّا استحقاقاً - فحمده لنفسه استحقاق، وحمد العباد له وحمد بعضهم لبعض ملك له، فلو حمدَ هو غيره لم يسغ أن يضاف إليه على جهة الاستحقاق وقد تعلق بغيره فإن قيل: ليس ثناؤه ومدحه لأوليائه إنّما هو بعلم، فلم لا يجوز أن يسمى مسمى حمداً؟ قلنا لا يسمى حمداً على الإطلاق إلا ما يتضمن العلم بالمحاسن على الكمال، وذلك معدوم في غيره سبحانه، فإذا مدح فإنّه يمدح بخصلة هي ناقصة في حق العبد، وهو أعلم بنقصانها، وإذا حمد نفسه حمد بما علم من كمال صفاته<sup>(١)</sup>.

#### د- فروق حروف المعاني.

عبر المستعمل العربي بحسه البياني عن دلالات دقيقة للحرف فيما استعمل به إذ جاءت صيغ التعبير بها في دقة متناهية ولاسيما فيما يخص المستعمل في البيان القرآني والإعتناء بعقل التعبير، وتعاقب الحروف في المتشابه اللفظي وفي ذكر أحد الحروف في موضع، وحذفه في موضع آخر لحكمة بيانية مقصودة، تقرر المعنى المراد، ويتحقق به الإعجاز البياني في إظهار الحكمة البلاغية الدلالية التفسيرية في توازن دقيق مقصود وتقرير هذه الحقيقة البيانية دليل على رفض دعوى التناوب بين بعض حروف المعاني (كما أشار إليها نحاة الكوفة) ولقد أخرج السهيلي لما سال

(١) نتائج الفكر ص ٢٨٤ - ٢٨٥

وأديه مكنون الخوابي وملاً بعلمه روابي المعرفة فأبان رحمه الله عن سر التعبير بالحروف وفي قضايا متعددة:-

### ١- تعاقب الحروف.

أوضح السهيلي الفرق بين استعمال (على) في موضع و(الباء) في موضع آخر ومن فوائد هذه المسألة أن يسأل عن سبب ورود هذا الحرف في مكان، ومجيء غيره في مكان آخر كما في قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] [بحرف " على "]. وقال في موضع آخر (تجري بأعيننا)، وكذلك: (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا). والفرق بين الموضعين أن الآية الأولى وردت في إظهار أمر كان خفياً وإبداء ما كان مكتوباً، فإن الأطفال إذ ذاك كانوا يغذون ويصنعون سراً، فلما أراد الله أن يصنع موسى ويغذى ويربى على حال أمن وظهور أمر، لا تحت خوف واستسرار، دخلت " على " في اللفظ تنبيهاً على المعنى، لأنها تعطي معنى الاستعلاء، والاستعلاء ظهور وابتداء، فكأنه يقول سبحانه: ولتصنع على أمن لا تحت خوف، وذكر (العين) لتضمنها معنى الرعاية والكلاءة. وأما قوله تعالى: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا)، فإنه إنما يريد: برعاية منا وحفظ، ولا يريد إبداء شيء ولا إظهاره بعد كتم، فلم يحتج في الكلام إلى معنى على بخلاف ما تقدم<sup>(١)</sup>. مع أن القرآن قد يستعمل الباء بمعنى على نفسها كما في قوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ النساء: ٤٢<sup>(٢)</sup>

### ٢- تعدية الأفعال بالحروف. ...

(١) نتائج الفكر ٢٣٠.

(٢) حروف المعاني للزجاجي ٨٦.

وفي تعدية الفعل بحرف الجر أو بغيره وقف عند قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ (المطففين: ٢): فَإِنَّمَا دَخَلَتْ ( عَلَى ) لَتَوْذَنَ أَنَّ الْكَيْلَ عَلَى الْبَائِعِ لِلْمَشْتَرِي وَدَخَلَتْ التَّاءُ فِي اِكْتَالُوا ؛ لِأَنَّ افْتَعَلَ فِي هَذَا الْبَابِ كُلَّهُ لِلْأَخْذِ ؛ لِأَنَّهَا زِيَادَةٌ عَلَى الْحُرُوفِ الْأَصْلِيَّةِ تَوْذَنَ بِمَعْنَى زَائِدٌ عَلَى مَعْنَى الْكَلِمَةِ ؛ لِأَنَّ الْآخْذَ لِلشَّيْءِ كَالْمَبْتَاعِ ، وَالْمَكْتَالِ ، وَالْمَشْتَرِي وَنَحْوَ ذَلِكَ يَدْخُلُ فَعْلَمَ مِنَ التَّنَاوُلِ وَالِاحْتِرَازِ إِلَى نَفْسِهِ وَالِاحْتِمَالِ إِلَى رَحْلِهِ مَا لَا يَدْخُلُ فَعْلَ الْمَعْطِيِّ وَالْبَائِعِ وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ : (( لَهَا مَا كَسَبَتْ )) يَعْنِي مِنَ الْحَسَنَاتِ (( وَعَلَيْهَا مَا اِكْتَسَبَتْ )) يَعْنِي مِنَ السَّيِّئَاتِ ؛ لِأَنَّ الذَّنْبَ يُوَصَّلُ إِلَيْهَا بِوَأَسْطَةِ الشَّهْوَةِ وَالشَّيْطَانِ ، وَالْحَسَنَةَ تَنَالُ بِهَبَّةٍ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - مِنْ غَيْرِ وَأَسْطَةُ شَهْوَةٍ وَلَا إِغْوَاءٍ عَدُو ، فَهَذَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا <sup>(١)</sup> . فَاَلْمَلَا حِظَّ أَنَّ اخْتِيَارَ ( اِكْتَسَبَتْ ) عَلَى ( كَسَبَتْ ) فِي الدَّلَالَةِ عَلَى فَعْلِ الشَّرِّ لَمَّا تَحْمَلُهُ هَذِهِ الصِّيغَةُ أَيِ افْتَعَلَ مِنْ دَلَالَاتٍ مِنْهَا مَا يَنَاسِبُ السِّيَاقَ : الْاجْتِهَادَ وَالطَّلَبَ وَالتَّصَرُّفَ وَالمَبَالِغَةَ فِي مَعْنَى الْفَعْلِ مَخَالَفَةَ لِلْاعْرَافِ وَالْفَطْرَ السَّلِيمَةَ مِمَّا يَدْعُو الْعَاصِيَ إِلَى الْاِخْتِيَالِ فِيهَا وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ افْتَعَلَ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ الْكَلْفَةِ ، وَفَعَلَ السَّيِّئَةَ شَدِيدًا لَمَّا يُوَوَّلُ إِلَيْهِ (٢)

#### هـ- الفروق في أدوات النفي:

ومما اكتتفته جميل هذه التحليل النحوي إذ تعرض إلى الفرق بين استعمال أدوات النفي بين (غير) و (لا) ودقة استعمال البيان القرآني ، فالفرق بين (غير) و (لا) كما بينه أهل اللغة جاء في بدائع الفوائد عند وقوفه على قوله تعالى ((غير المغضوب عليهم ولا الضالين)) قال ابن القيم " إنَّ المراد المغايرة الواقعة بين النوعين وبين كل نوع بمفرده فلو لم يذكر (لا) وقيل: (غير) أوهم أنَّ المراد ما غير المجموع المركب من النوعين لا ما غير كل نوع بمفرده فإذا قيل: ولا

(١) المصدر نفسه ٢٧٢.

(٢) الاعجاز الصرفي في القرآن الكريم د عبد الحميد احمد يوسف الهنداوي ١٣٠.

الضالين كان صريحا في أنّ المراد صراط غير هؤلاء وغير هؤلاء وبيان ذلك أنّك إذا قلت: ما قام زيد وعمرو فائّما نفيت القيام عنهما ولا يلزم من ذلك نفيه عن كلّ واحد منهما بمفرده<sup>(١)</sup>، فإنّ معنى النفي موجود في (غير) فإن قيل: فهلا قلت: (لا المغضوب عليهم ولا الضالين؟) فالجواب: أنّ في ذكر (غير) بيان الفضيلة للذين أنعم الله عليهم، وتخصيصاً لنفي صفة الغضب والضلال عنهم، وأنّهم الذين أنعم الله عليهم بالنبوة والهدى دون غيرهم. ولو قال: (( لا المغضوب عليهم )) لم يكن ذلك إلاّ تأكيد نفي إضافة الصراط إلى المغضوب عليهم (( كما تقول: هذا غلام زيد لا عمرو، أكدت نفي الإضافة عن عمرو، بخلاف قولك: هذا غلام الفقيه غير الفاسق ولا الخبيث، فإنك جمعت بين إضافة الغلام إلى الفقيه دون غيره، وبين نفي الصفة المذمومة عن الفقيه فافهمه<sup>(٢)</sup> وقد تكون صفة للمعرفة القرينة منها نحو صراط الذين انعمت عليهم: لأنّ المعرف الجنسي قريب من النكرة، ولأنّ (غير) إذا وقعت بين ضدين ضعّف إبهامها، حتى زعم أن السراج أنها حينئذٍ تتعرف ويرده الآية ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر ٣٧] وقد قالوا أيضا انها للاستثناء وان حسن الوصف ويؤيده قراءة النصب في (غير المغضوب عليهم)<sup>(٣)</sup>.

#### و- الفروق بين الجمل:

تنقسم الجملة إلى فعلية واسمية ويتم التمييز بينهما اعتماداً على ما تبتدأ به إن كان اسماً فهي اسمية مالم يكن الخبر فعلاً ففيه خلاف فعند البصريين هي باقية اسمية، وعند الكوفيين وبعض المحدثين فعلية<sup>(٤)</sup> (أمّا إذا كان المسند اسماً فهي اسمية سواء أتقدم المسند إليه أم المسند. وهاتان الجملتان لهما دلالات استقرت عند أهل

(١) بدائع الفوائد ابن قيم الجوزية ٢ / ٢٧١.

(٢) نتائج الفكر ٢٠٤.

(٣) ينظر مغني اللبيب في كتب الاعراب ١ / ٣١٨.

(٤) همع الهوامع ١ / ٣٧، ومن المحدثين، مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص ٨٦.

العربية على أساس هذا التقديم فالاسمية دلت على الثبوت، والفعلية دلت على التجدد والحدوث وهاتان الدالتان وقف عندها علماء العربية وأهل التفسير في بيانهم للتعبير القرآني وهو ما وقف عندها عالمنا الجليل في تقديمه للسر البياني الذي احتوته آية من آيات التنزيل الحكيم الآ وهي قوله تعالى : (قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا) الذاريات قال السهيلي " ومما يتصل بما تقدم قوله - عز وجل - : (قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا). نصب الأول ؛ لأنه لم يقصد الحكاية ، ولكنه جعله قولاً حسناً ، وسماه سلاماً ؛ لأنه يؤدي معنى السلام في رفع الوحشة ووقوع الأُنس. وحكى عن إبراهيم - عليه السلام - قوله ، فرغ بالابتداء ، وحصل من الفرق بين الكلامين في حكاية هذا ورفع ونصب ذلك ، إشارة لطيفة وفائدة شريفة ، وهو أنّ السلام من دين الإسلام ، والإسلام ملة إبراهيم عليه السلام ، وقد أمرنا بالاتباع والافتداء به ، فحكي لنا قوله ولم يحك لنا قول أضيفه ، إذ لا فائدة في تعريف كيفيته ، وإنما الفائدة في تبين قول إبراهيم وكيفيته تحيته ، ليقع الاقتداء به. وأخبر عن قول الأضيف على الجملة لا على التفصيل ، وعن قول إبراهيم - عليه السلام - مفصلاً محكياً لهذه الحكمة<sup>(١)</sup>. قال ابن القيم " قوله لهم ( سلام ) بالرفع وهم سلموا عليه بالنصب ، والسلام بالرفع أكمل فإنه يدل على الجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستقرار ، والمنصوب يدل على الفعلية الدالة على الحدوث ، فأبراهيم حياهم أحسن من تحيتهم ، فإن قولهم ( سلاماً ) يدل على سلمنا سلاماً وقوله ( سلام ) أي سلام عليكم<sup>(٢)</sup> "

ز - الفروق في التعابير.

فإن قيل : فما قولكم في نحو قوله تعالى : (يَعْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ) و(يَعْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْزِكُمْ) ؟ قلنا : هي متعلقة بمعنى الإنقاذ والخروج من

(١) نتائج الفكر ٣١٩.

(٢) جلاء الافهام ١ / ٢٧٢ وينظر الكشف ٤ / ٣٩١ ، ومعاني النحو ١ / ١٤ ، الدلالة الزمنية للجملة العربية في

الذنوب ، وإنما دخلت لتؤذن . بهذا المعنى ولكن لا يكون ذلك في القرآن إلا حيث يذكر الفاعل الذي هو المذنب ، نحو قوله : لكم ؛ لأنه المنقذ المخرج من الذنوب بالإيمان ، ولو قلت : ( يغفر من ذنوبكم ) - دون أن تذكر الاسم المجرور - لم يحسن إلا على معنى التبويض ؛ لأنّ الفعل الذي كان في ضمن الكلام وهو الإنقاذ ، قد ذهب بذهاب الاسم الذي هو واقع عليه . فإن قلت : فقد قال : ( رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ) وقال في سورة الصف : ( يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ) فما الحكمة في سقوطها هنا ؟ وما الفرق ؟ . فالجواب : أن هذا إخبار عن المؤمنين الذين قد سبق لهم الإنقاذ من ذنوب الكفر بإيمانهم ، ثم وعدوا على الجهاد بغفران ما اكتسبوا في الإسلام من الذنوب ، وهي غير محيطة بهم كإحاطة الكفر المهلك بالكافر ، فلم يتضمن الغفران معنى الاستنقاذ ، إذ ليس ثم الإحاطة من الذنب بالمذنب ، وإنما تضمن معنى الإذهاب والإبطال للذنوب ؛ لأنّ الحسنات يذهبن السيئات ، بخلاف الآيتين المتقدمتين فإنهما خطاب للمشركين وأمر لهم بما ينقذهم وبخلصهم مما أحاط بهم وهو الكفر ، وأمّا المؤمنون فقد أنقذوا . وأمّا قوله في آية الصدقات : ( وَيُكْفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ) . فهي في موضع ( من ) التي للتبويض ، لأن الصدقة لا تذهب جميع الذنوب كالجهاد<sup>(١)</sup> . قال الخصري : " وكذلك قوله تعالى (( يغفر لكم من ذنوبكم )) فهي للتبويض أيضا وليست بمعنى ( يغفر لكم ذنوبكم ) فإنّ الموطن مختلف فهي في الأولى في قوم نوح ، والثانية في الأمة المحمدية<sup>(٢)</sup> . فهذه هي بلاغة التعبير القرآني وبيانه فالقرآن الكريم دقيق غاية الدقة في المخالفة بين التعابير والألفاظ لاختلاف الموطن والسياق فهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ولكل مقام مقال ولكل كلمة مع صاحبها مقام . ومنها أن يقال : ما الحكمة في إضافة صراط إلى ( الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ) بهذا اللفظ المجمل ، ولم يقل : النبيين و الصالحين ؟ " . فلفائدتين : إحداهما : نفي التقليد عن القلب ، واستشعار

(١) نتائج الفكر : ٥٠ .

(٢) حاشية الخصري على ابن عقيل ١ / ٢٢٩ .

العمل بأن من هدي إلى هذا الصراط فقد أنعم عليه ، ولو ذكرهم بأعيانهم لم يكن فيه هذا المعنى. والفائدة الأخرى أن الآية عامة في طبقات المسلمين مسيئهم وصالحهم. والمسيء لا يطلب درجة العالي حتى ينال التي هي أقرب إليه ، ولفظ (الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) يشمل الجميع ، وجميع المأمورين بهذا الدعاء يطلب صراط الذين أنعم الله عليهم ، وهم أصناف ، كما أن السائلين لدرجاتهم أصناف. وأمّا قوله تعالى : (الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) ، ولم يقل : " المنعم عليهم " ، فلذكر نعمة المنعم والثناء بها عليه وذكر النعم شكر ، وإبراز ضمير الفاعل العائد على الله سبحانه من قوله : (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) ذكر الله تعالى باللسان والقلب ، ولو قال : " المنعم عليهم " لخلا هذا اللفظ من هذه الفوائد المقرونة بالدعاء ، وهي الشكر والذكر ، ألا ترى إلى قول إبراهيم عليه السلام : (وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ) ؟ فأضاف الفعل إلى ربه ، ثم قال : (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ). ولم يقل : " أمرضني " ، كما قال : (يُطْعِمُنِي) ، إذ ليس في قولك " أمرضني " إلا الإخبار المجرد عن الشكر والثناء ، وربما اقترن به تسخط وتضجر ، فعدل عنه إلى قوله : (مَرِضْتُ). ولذلك قال سبحانه : (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) ولم يقل : " الذين غضبت عليهم " ، إذ ليس في الإخبار عنه بالغضب من الشكر والإحسان ما في قوله : (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) ؟ فكان اللفظ الوجيز أولى. وفائدة أخرى وهي أن الغضب صفة ينبغي للعبد أن يشترك فيها مع الرب فيغضب لغضب الله تعالى ، فاليهود قد غضب عليهم لغضب الله وجميع المؤمنين ، فاستشعر الداعي هذا المعنى فلم يقل : " الذين غضبت عليهم ". إذ لو قال ذلك لأخرج نفسه عن أن يغضب لغضب الله ، كما أخرج نفسه عن أن ينعم ، وأفرد الرب بالإنعام فقال : (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ). وفائدة أخرى ، وهو أن الألف واللام في (المغضوب) ، وإن كانت بمعنى " الذين " فليست مثلها في التصريح والإشارة إلى تعيين ذات الاسم ، فإن قولك : " الذين فعلوا " معناه : القوم الذين فعلوا ، وقولك : " الضاريون والمضربون " ليس فيه ما في قولك " الذين ضربوا أو ضربوا " ، وإذا صح هذا وتأملته فالذين أنعمت عليهم بلفظ (الذين) إشارة إلى تعرفهم بأعيانهم ، وتعرفهم من الدين ولا سيما

النبیین. بخلاف من غضب الله عليهم فوجب الإعراض عنهم وترك الالتفات إلى ذاتهم ، فاقصر على الصفة المذمومة دون أن يعينوا بالذین ، وجاء باللفظ مبهماً غير مفسر<sup>(١)</sup> ، ونظير هذه المسألة - قوله صلى الله عليه وسلم - وقد قيل له : أنتوضاً بماء البحر ؟ فقال : (( هو الطهور ماؤه ))<sup>(٢)</sup> ولم يقل : (( نعم توضؤوا منه )) لئلا يتوهم أنّ الحكم مخصوص بالسائل ، فلما أخبر عنه أنه الطهور ماؤه استمر الحكم فيه على العموم ولم يتوهم قصره على السبب وكذلك هذا حين قال : ( قتالٌ فيه كبير ) فجعل الاسم المخبر عنه قتال وخصه بالمجرور الذي هو ضمير الشهر ، فتعلق الحكم به على العموم متى وقع ، لأنّ اللفظ المضمّر لا تقتضي صيغته الا تخصيص الخبر بما يعود عليه<sup>(٣)</sup> . وختاماً فما بقي في هذا الكتاب الكثير ولكن من البيان الإيجاز ولم نسع سوى لإظهار الملامح ويمكن لأخر أن يدرسه دراسة واسعة ويبحث في جزئياته وبعد فإن ختام هذا البحث قد كلل بعض النتائج أهمها :

(١) نتائج الفكر ٢٤ .

(٢) الجامع الصحيح سنن الترمذي : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ١/١٠٠ .

(٣) نتائج الفكر ٢٤٣ - ٢٤٤ .

## الخاتمة والنتائج

تمتع السهيلي بشخصية علمية من خلال عنايته بالنصوص الشرعية التي يوردها من قرآن وحديث شريف غاية العناية، فهو يعتمد على النصوص فضلاً عن استقصائها وتتبعها ثم يجعل الحكم المستتبط خاضعاً لهذه النصوص بقوة الدليل النقلية، وربطه بسببه ثم يورد بحكمته اللغوية المسائل العقلية التي يجعلها سنداً لدليله النقلية ومعضداً له، وتوضيح ما يفيد الدليل النقلية الشرعي.

امتاز السهيلي بوضوح العبارة وتأكيدها وهذا أهم ما يميز أسلوبه إذ تجده من شدة عنايته بالوضوح يميل للإسهاب والإطناب، والعزوف غالباً عن الإيجاز وعن الموهوم والمبهم من العبارات فهو طويل النفس في العبارة يحاورها ويحاكيها، ويبين دقة استعمالها وسببه في البيان القرآني، وقد ساعده في ذلك ملكة اللغوية القوية في بيان القرآن من خلال اللغة ولاسيما في كتابه موضوع الدراسة إذ عني ببعض أبواب النحو التي تدرس الجملة وتركيبها، واتجهت عنايته في ذلك إلى ما يخدم المعنى، ويعين على تحديده وبيانه في الغالب.

امتاز السهيلي بشخصية بيانية بلاغية إذ أسس لمن جاء بعده بالكثير من المسائل التي تعطي بعداً لغوياً وبلاغياً وتسجيل المعاني الناتجة عن العلاقات بين الكلم وفق قانون النحو وقواعده وهو عين النظم وجوهره، الذي نادى به عبد القاهر الجرجاني، وبذلك تكون أساليب البلاغة وأدواتها وسائل يُتوصل بها إلى الأغراض القرآنية من خلال النظم الكريم فتلك خدم لها، وليست الآيات خادمة لأساليب البلاغة وعناصر أبحاثها، وبهذا المنهج تسلم الآية الكريمة من التجزئة والتقطيع، ويحفظ بهاؤها ورواؤها، وينكشف شيء من أسرار جمالها وبدائع نظمها وهذا ما عناه السهيلي.

وقف السهيلي في كتابه نتائج الفكر على العديد من المسائل النحوية التي ابان من خلالها الملاحم البيانية القرآنية التي اكتتفت هذه المسائل

ابان البحث أن المنهج الذي سار عليه السهيلي هو منهج شمولي تكاملي اذ ربط اللغة ببعضها بعضا

حدد السهيلي اسباب التقديم والتأخير وفوائده في كلام العرب بأنها تتقدم بأحد خمسة أشياء : إما بالزمان ، وإما بالطبع ، وإما بالرتبة ، وإما بالسبب وإما بالفضل والكمال.

وضح البحث وقوف السهيلي على المفردة النحوية واثرها في البيان القرآني اذ تعد الركيزة الاساسية للوصول الى فهم دقيق للبيان القرآني

تنوع التوظيف النصي للتراكيب النحوية في إطار الكلمة ذاتها إنما مداره في النص القرآني على شمولية النظرة إلى الصورة القرآنية كاملة ، لا إلى مفردة من أجزائها ، أو أحد أركانها . والتلويح بهذا التناول الصوتي والصرفي والتركيبي والسياقي للكلمة يومئ إلى الدلالات الجمالية ، ويفجر أسرارها النصية ، وهذا هو المقصد هنا الذي اراده السهيلي والذي سنتناوله في بحوث لاحقة .

وقف على كثير من المسائل هي في جذورها نحوية ولاسيما في بيان الفروق النحوية والتراكيب النحوية : كالتقديم والتأخير ، والحذف ، والتعريف والتأخير ، وأبان ملامحها البيانية مستلهما من السياق والمقام أساسا للكشف عنها. وشمل أغلب الموضوعات النحوية المعبرة عن دلالة بيانية ، إذ ربط بين النحو من جهة والبلاغة من جهة أخرى وتجاهل في كل موضوع مالم يفد ذلك.

## المصادر

١. أساس البلاغة : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٨٨م.
٢. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لمؤلف : أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري (ت ١٨٣٥م)، تحقيق : جعفر الناصري، محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء سنة ١٩٩٧م.
٣. أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز: د. مصطفى شاهرخولوف، دار الفكر، ط١، الأردن، عمان، ٢٠٠٩م.
- ٤-الأصول في النحو : أبو بكر محمد بن سهل بن السراج (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق: د. عبدالحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، ط٤ ، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م .
٤. الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم: د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهيبة، القاهرة، ط٤، ٢٠١٢م
٥. الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية : د عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت صيدا ، ٢٠٠٨.
٦. إعجاز القرآن : ، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي (ت ٤٠٣هـ) ، تحقيق: السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، ط٤ ، ١٩٧٧م .
٧. إعراب القرآن : أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ) تحقيق : د. زهير غازي زاهد الناشر : عالم الكتب سنة النشر : ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م مكان النشر: بيروت
٨. إعراب القرآن : عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي (ت ٣٣٧هـ)، (د.ت)

٩. أعلام العرب : أمين الخولي، د. كامل سغان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.
١٠. بدائع الفوائد، : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد الجميل الناشر : مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة الطبعة الأولى ، ١٤١٦ - ١٩٩٦
١١. البداية والنهاية : ابن كثير، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، لبنان ، ط٢، ١٩٩٠م.
١٢. -البرهان في علوم القرآن : الزركشي محمد بن بهادر بن عبدالله (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.
١٣. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : كمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم الزملكاني، (ت ٦٥١هـ) ، تحقيق: د. أحمد مطلوب ، ود. خديجة الحديثي ، مطبعة المعاني ، بغداد ، ط ١ ، ١٣٩٤هـ . ١٩٧٤م .
١٤. بلاغة الكلمة والجملة والجمال ، منير سلطان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ ، منشأة المعارف الاسكندرية مصر .
١٥. البيان القرآني بين المقال والمقام، أ.م.د. محمد ياس الدوري، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، مجلد ٢٠، عدد ٧، تموز ٢٠١٣.
١٦. البيان والتبين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق : د. عبدالسلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت .
١٧. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان . الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

١٨. التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.
١٩. التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حبيب أحمد عيسى العامري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٦م، ١٢-١٥.
٢٠. الجامع الصحيح سنن الترمذي المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون
٢١. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية الناشر : دار العروبة - الكويت الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط .
٢٢. جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير احمد باسوف- دار المكتبي- دمشق ، ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٣. الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط٤ ، ١٩٩٠م .
٢٤. الحذف والتقدير في النحو العربي ، علي ابو المكارم ، دار غريب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٨.
٢٥. الحذف البلاغي في القرآن الكريم ، مصطفى عبدالسلام ابو الشادي ، مكتبة القرآن ، القاهرة
٢٦. دلائل الإعجاز في علم المعاني : عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، صحاح اصله الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد محمود ، وعلق حواشيه : السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م .
٢٧. الصاحبى ( كتاب في فقه اللغة ) ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : احمد صقر ، مؤسسة المختار ، ط١ ، ٢٠٠٥م.

٢٨. الصحاح، المسمى (تاج اللغة وصحاح العربية) ، الجوهري: اسماعيل بن حماد (ت ٤٠٠هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٢٩. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، طاهر سليمان حمودة ، دارالجامعية مصر، ١٩٨٨.
٣٠. على طريق التفسير البياني : د. فاضل صالح السامرائي ، جامعة الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة ، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م .
٣١. العين ، الخليل بن احمد الفراهيدي ، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (د.ت)
٣٢. الفروق النحوية في المتشابه اللفظي من البيان القرآني، قحطان جاسم محمد المذود، أطروحة دكتوراه ، جامعة تكريت، كلية التربية، قسم اللغة العربية، إشراف، أ.م.د. محمد ياس خضر الدوري ٢٠١٢.
٣٣. فقه اللغة وأسرار العربية المؤلف : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي تحقيق : ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م
٣٤. في النحو العربي، قواعد وتطبيق، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت ، لبنان، ١٩٨٦م).
٣٥. الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ( ت ١٨٠هـ ) ، تحقيق وشرح : عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م .
٣٦. كتاب حروف المعاني ، ابو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠هـ) ، حققه : علي توفيق الحمد ، دار الأمل ، الأردن ، ط ١ ، ١٩٨٤م .

٣٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ( ٤٦٧ . ٥٣٨ هـ ) الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت ، سنة الطبع : ١٤٠٧ هـ
٣٨. الكليات (٣٨٤)، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى (ت ١٠٩٤هـ)، قابلة على النسخة الخطية: د.عدنان درويش، ومحمد المصري، دمشق، ١٩٧٤م.
٣٩. لباب النقول في اسباب النزول ، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) علق عليه عبدالرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت -لبنان ، ٢٠١٢م.
- لسان العرب،ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري(ت ٧١١هـ) ،دار صادر،بيروت،ط١.
٤٠. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد الملقب بابن الأثير (ت٦٣٧هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٥م .
٤١. مراعاة المخاطب في بناء الأحكام النحوية حتى نهاية القرن السادس الهجري أطروحة دكتوراه، بان صالح مهدي ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦م.
٤٢. المجتبي من السنن المؤلف : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦،،الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها
٤٣. المصباح في المعاني والبيان والبديع : بدرالدين بن مالك الشهير بابن الناظم (ت ٦٨٦هـ) ، حققه وشرحه ووضع حواشيه د: حسني عبدالجليل يوسف ، مطبعة مكتبة الآداب . مصر ، (د.ط) ، (د.ت) .

٤٤. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، محمد على نجار ، عبدالفتاح إسماعيل شلبي، دارالمصرية للتأليف والترجمة مصر (د.ت).
٤٥. معاني القرآن واعرابه ، أبو اسحاق الزجاج ، شرح وتحقيق ، د عبدالجليل عبده شلبي ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا ، (د.ت).
٤٦. معاني النحو ، فاضل صالح السامرائي ، ، دار الفكر - عمان - الأردن الطبعة الثانية ١٤٢٣ - ٢٠٠٣م.
٤٧. مغني اللبيب عن كتب الأعراب ن كمال بن هشام الانصاري ، تحقيق د. مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ، راجعه سعيد الافغاني ، بيروت ، ط ٥ ، ١٩٧٩م.
٤٨. المفصل في علم العربية ، أبو القاسم الزمخشري ، وبذيله كتاب المفضل في شرح أبيات المفصل ، محمد بدر الدين الحلبي (ت ١٩٤٣) ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٦م.
٤٩. المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد عبدالخالق عزيمة ، القاهرة : مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط ٢ ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
٥٠. من أسرار البيان القرآني ، د فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر، عمان ، ط ٢٠٠٩م.
٥١. نتائج الفكر في النحو للسهيلي ، الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ٥٨١ هـ) الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى : ١٤١٢ - ١٩٩٢ م
٥٢. نظرية الاصول عند ابن فارس ت ٣٩٥ هـ عبد العباس عبدالجاسم احمد ابو ظبي الامارات دار المؤلف ط ١ ٢٠٠٢م.

٥٣. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم وعبد السلام محمد هارون، دار البحوث العلمية، ١٩٧٥م.
٥٤. الوجوه الدلالية عند علماء القراءات إلى القرن السادس الهجري، د: فائزة عباس حميدي الأدريسي، ط١، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.